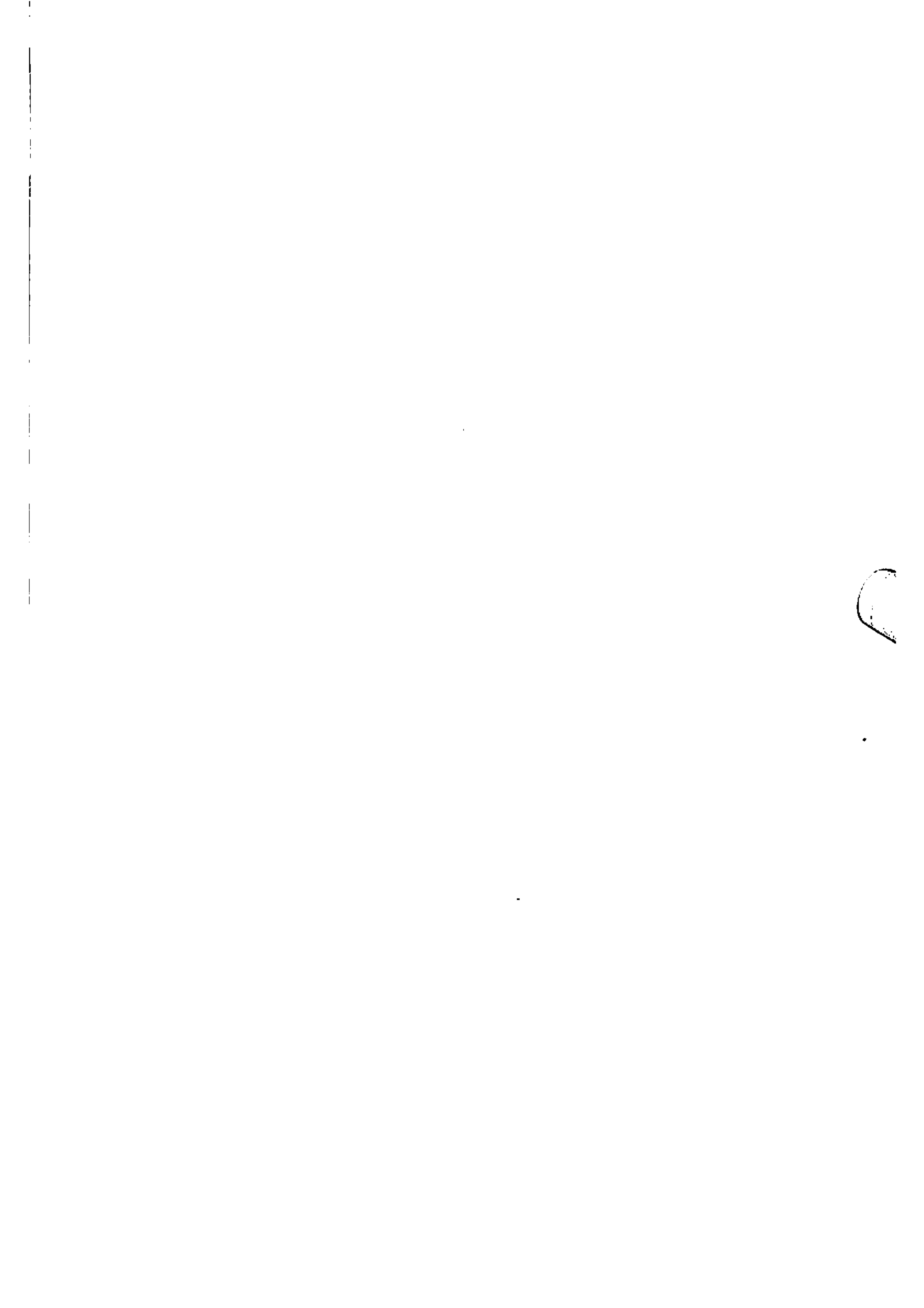


فيما أهمل من تاريخ يافع

تأليف

الشيخ عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي

دار الأندلس الخضراء



الكوكب اللامع

فيما أهمل من تاريخ

يافع

بسم الله الرحمن الرحيم



فيما أهمل من تاريخ

يافع

تأليف
الشيخ عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الأندلس الخضراء

الإدارة: حي الثغر - شارع باخشب - سوق الجامعة التجاري

هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ فاكس: ٦٨٨٤٧٨٢

فرع السلامة - شارع عبدالرحمن السديري - مركز الزومان التجاري

هاتف وفاكس: ٦٨٢٥٢٠٩ - ص.ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١

الإهداء

إلى كل يافعي مفكر نبيل . . .

إلى كل عربي أبي أصيل . . .

إلى أصـدقـائي الذين يشـجـعـون بالكلمـة من قلوب سليمة . . .

إلى تلامـيـذي الذين غـمـروني بفـضل الرعـاية والحب العميق . . .

إلى مـسـقط رأسي حـمـحـمـة التي تنكَّر لي أبناؤها . . وأعـاضني الله بغيرهـم من الصـادقين المخلصين . . . ولكنهم قومي، بهم أعتز، وإليهم أنتمي . . .

إلى كل هؤلاء أهدي هذه المعلومات، فإن وافقت قبولاً منهم فالحمد لله .

وإن لـم توافق فــذلك قـــصــــور مني، ولكنه أقـــصى مجهودي . . .

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والثناء وعظيم الامتنان للعلامة الشيخ سعيد بن علي بامخرمة على مساهمته القيمة في المعلومات التي أفادني بها ، وبالرغم من كثرة أعماله فقد تكلَّف الكتابة لترجمة عدد كبير من علماء يافع ، ولا يسعني إلا أن أبتهل إلى الله أن يمد في عمره ، وأن يبارك في عمله ، وأن يمن عليه بالصحة الدائمة ، والعافية التامة ، إنه على كل شيء قدير .

ولا أنسى أن أشكر حفيدتي الآنسة أسماء محمد هاشم السقاف التي تحملت العبء الأكبر في كتابة هذا الكتاب وتبويبه ، وتكلفت العناء الكبير في ذلك بالنسبة لعملها الإداري في المدرسة وما يتبع ذلك من أعمال ومسئوليات ، فلها مني عظيم الشكر وفائق الاحترام والدعاء لها دائماً بما يسعدها في حاضرها ومستقبلها ، إن الله على ما يشاء قدير .

ولا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل للشيخ سالم بن عبود بادحدح ، الذي قام بتصوير هذا الكتاب وما قبله ، فله مني أسمى الشكر وأطيب الثناء .

ولا أنسى ما قام به الطالب الأديب محمد أبوبكر باذيب من مجهود عظيم وإشراف وتبويب وتصحيح ، فله مني أجمل الشكر وأعظم الامتنان ، داعياً له بالتوفيق والنجاح ، وأن يشرح صدره ، وييسر أمره ، ويرزقه الصحة الدائمة ، والعافية التامة ، إنه على كل شيء قدير .

وكذلك لا أنسى ما يقوم به الشيخ عبدالله صنعان من مجهود في إبراز هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، فله مني عظيم الامتنان وأصدق الشكر والتمنيات .

ولا أنسى كذلك ما قام به السيد إبراهيم بن سميط والابن صالح عمر باحسين من تصحيح وإبراز هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، فلهما الشكر الجزيل والثناء العاطر .

وكل من ساهم في إبراز هذا الكتاب فلهم تمنياتي وشكري الدائمين .

المؤلف

المقدمة

الحمد لله على واسع فضله، ومزيد نعمه على خلقه، وفيض رحمته وعدله، وأصلي وأسلم على أشرف رسله، سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد.

فقد تجمعت لدي نتف من تاريخ يافع، وأحببت تسجيلها؛ لعلها تذكر اليافعي مجده الضائع، وعمل أمجاده النافع، الذي خلفه الآباء والأجداد والخلف الصالح والأحفاد.

ولعل اليافعيين أن يغيروا الواقع الأليم الذي يعيشه البعض من أكل مال اليتيم، وحرمان المرأة من حقوقها المنصوص عليها في الكتاب الكريم، إذ لا زال البعض على إنكار الحقوق، ونصب الأشراك والحيل، وتغيير معالم الأرض، وسرقة الوثائق، وابتلاع ما فيها من حدود وقيود ومزارع ومواقع وضمها إلى أملاكه، بدون خوف من الذي لا تخفى عليه خافية، ولا وازع من الدين، ولا تفكير في الجزاء، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم أرشد الحائر ، واهد الضال ، وعلم الجاهل ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

آمين . . آمين .

❊ ❊ ❊

القسم الأول

خواطر يافعية

خواطـر يافعيــة

تمهيد :

هذه نتف التقطتها من مؤلفات حديثة، كمؤلف السلطان غالب بن عوض القعيطي وغيره التي بدأت تزيح الستار عن أمجاد يافع مع قلتها، ولكن ألقت بعض الضوء على ما لهذا الجزء العربي من تاريخ مجيد وأثر حميد على مسيرة التاريخ العربي، بالرغم من التعتيم الذي تعمده المؤرخون أو تجاهلوه، لا لهذا بل ولكثير من القبائل مثل: كندة وبني تميم وبني مرة والصبيحة والفضلي والعوذلي.... وغيرهم، ولكن التعتيم بالأخص استهدف القبيلة اليافعية وعدم الاهتمام بما لهم من ماض مشرق عبر التاريخ العربي جاهلية وإسلاماً؛ إذ لم نجد في تواريخ اليمن ذكراً لمن سكن في الشمال منهم، ولا في تواريخ حضرموت متى توطن اليافعيون فيها إلا في النادر القليل، وبعبارة مقتضبة لا تسمن ولا تغني من جوع.

لهذا فقد أهبت بالشباب اليافعي في كتابي رحلة إلى

يافع أو يافع في أدوار التاريخ أن يواصلوا البحث والتنقيب؛ لعلهم يهتدون إلى معلومات قيمة يقدمونها للمكتبة العربية للتعريف الكامل لما لبني مالك من أعمال مجيدة وذكر حميد جاهليةً وإسلاماً .

وفي هذه السطور سيجد الأخ القارئ بعضاً من المعلومات التي لم يكن يعرفها من قبل؛ ليدرك مدى تجاهل المؤرخين لهذه القبيلة!

من كان يعرف أن يافعاً قد استوطنوا حضرموت قديماً، وتأقلموا بها، وأصبحوا جزءاً من سكانها؟

وإذا سألت أحداً عن يافع متى كان وجودهم في حضرموت فلن تجد الجواب إلا أنهم وجدوا في سلطنة بدر، وهو خطأ.

وإذا سألت عن بيت يزيد في المشقاص لوجدت الجواب أنهم من الحموم!

وقد صدقوا، ولكنهم من يافع، استوطنوا حضرموت قديماً، فتأقلموا وأصبحوا بيتاً من بيوت الحموم.

وإذا سألت عن بيت زياد في المهرة فلن تجد جواباً إلا أنهم

من المهرة، وهم ينتمون إلى يافع.

وقل مثل ذلك في بني سنان في صور من أرض عمان، فهم من آل يزيد اليافعيين، سكنوا عمان في زمن قديم، إلا أنهم احتفظوا بأنسابهم وتعرفوا على آل سنان في المكلا وقت قدوم السفن من صور، وبعد ذلك تبودلت الهدايا بين الطرفين.

تحدث بعض الشيوخ المعمرين من المهرة عن مجموعة من يافع أن بيت زياد في المهرة أصلهم من يافع، قدموا إلى المهرة قبل الإسلام، أصهروا إلى المهرة وكثر نسلهم، وتكلموا بلغتهم، وأصبحوا بيتاً من بيوت المهرة، وآخرهم وجوداً في حضرموت زياد بن حسان اليافعي بتخفيف الياء، ووجد بني عمه في القطن، وتزوج منهم ومن غيرهم، وأنجب أولاداً عدة، فمنهم مع مرور الزمن من احتفظ بحمل السلاح وأطلق عليهم أهل حضرموت آل بن زياد بتشديد الياء، وهو خطأ، والبعض الآخر ترك السلاح واشتغل بالزراعة وأطلق عليهم أهل حضرموت آل بازياد بتخفيف الياء. والله أعلم

بالصواب .

آل بن ناجي :

جاء في بعض تواريخ حضرموت ذكر آل حسن بن ناجي الذين حكموا شبام بعد إخراج الغز منها ومن حضرموت، ونهاية حكمهم فيها. وذكرت هذه المراجع أن آل حسن بن ناجي من كندة، واستثنوا منهم آل محمد بن محمد بن ناجي فنسبوهم إلى اليمن .

والمعروف إلى يومنا هذا أن آل بن ناجي قبيلة معروفة بوادي ذي ناخب، ومنهم كاتب هذه السطور، ومنهم آل بريك الذين حكموا الشحر و استوطنوا حضرموت بدءاً بشبوة وسوط بلعبيد وحريضة ثم الشحر .

وإذا سألت عن وجودهم في حضرموت ومتى لم تجد الجواب؟! بل إن المؤرخين اختلفوا في أنسابهم اختلافهم في آل العمودي، فمنهم من نسبهم إلى قبائل الحموم، وهذا بعيد جداً، وقائل هذا قد أبعد النجعة .

وفي القرن الحادي عشر الهجري تجد أن لأهل بن ناجي

وجوداً بالمنطقة المسماة بشكلنزه، ويطيب للمؤرخ باحسن أن يسميها الشكل النزه، وكانت لهم أموال، وأجروا عيون ماء لمزارعهم هناك، وتقع هذه المنطقة شمال مدينة الشحر الغربي وتعتبر ضاحية من ضواحيها، ولم يعلم متى تاريخ وجودهم بهذه المنطقة، غير أنهم عرفوا بعد بتعاونهم مع آل بريك لأنهم منهم، وبعد أن زالت دولة آل بريك لم يطب لهم المقام خوفاً من الدولة الكثيرية التي أطاحت بالدولة البريكية فعادوا إلى يافع.

وفي أوائل الحكم القعيطي عاد بعضهم وباع أملاكهم بمنطقة شكلنزه.

ولا تزال ديارهم باقية توحي بالعظة والعبرة، وإلى مقربة من هذه الحصون ترى المقبرة التي ينطق حالها قائلاً: انظر بعقلك كيف كان أصحاب هذه القبور؟ وأين هم الآن؟ ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[1].

بعض قبائل حضرموت يافعية:

أشار بعض النسابين إلى أن قبيلتي الحالكة والسموح قد

---

(١) سورة القصص: آية ٨٨.

هاجرتا قديماً من يافع وأنهما من يافع، ولا غرابة، فسيبان والمشاجرة ونعمان وآل ذييب من حمير.

كما ذكروا أنها تلتقي مع يافع في النسب إلى حمير.

وممن ينتسبون إلى يافع آل بابطين وآل زيدان، ويذكر السيد الحييد في تاريخه أن آل باعباد من يافع، وكرر ذلك عدة مرات.

كما يؤكد النسابون وكذا وثائق مع آل بريك أن هذه القبيلة نزحت من يافع على إثر طوفان اجتاح كل مزروعاتهم، فاتجه البعض منهم إلى الشرق واستقروا في شبوه وما جاورها إلى حريضة التي حكموها برهة من الزمن وأخيراً إلى الشحر حيث أقاموا دولتهم كما سبق، والبعض الآخر اتجه إلى الغرب واستقروا في الأحساء والقطيف، ثم إلى عمان وهم كثرة في عمان.

ولم يبق في الوطن إلا العجزة، وقد خلفوا لهم الكثير من الحبوب المخزونة في المدافن ريثما يقومون بإصلاح ما يمكن إصلاحه.

وذكر الأمير أحمد فضل في «هدية الزمن» عند ذكره

سكان إقليم لحج أن آل سلام انتشروا في إقليم لحج والمخا وغيرهما، وأنهم فخذ من كلد، وممن سكن معهم في لحج جماعة من بني السليماني من الأسعد من يافع، منهم الأمير حسين بن عبدالقادر صاحب لحج وعدن وأبين، والأمير نمي بن عبدالقادر، والشيخ حسن بن عبدالقادر.

ثم ذكر أن قرى آل سلام في لحج «المجحفة ودار قمير»، وسكن منهم جماعة في خنفر من أعمال أبين، وسكن منهم جماعة في مدينة المخا ومنهم يحيى بن سلام السالمي، وذكر أن العزيبة في لحج من يافع وأنهم فخذ من آل سلام من المعزبة، وأنشد شاعرهم قائلاً:

قال بوسيف بيدي سيف بوفتقين

ومن القبائل اليافعية قبيلة (المنتصر)، ومن قبائل يافع الذين سكنوا لحج الأبقور وقريتهم (بنا أبه) وانتقلوا إلى الضالع عند إخوانهم الأبقور وهم الشعار، ومن المنتمين إلى لحج وأطرافها مشائخ آل علي من ذي ناخب، ومشائخ آل صهيب من يافع ومنهم كاتب هذه السطور، والخرمان من آل كساد، مشائخ آل قطيب من يافع، وبنو الثعلبي من الواحد

بين الضالع والحواشب وأصولهم أبعوس من يافع ، ومن الأبعوس آل علي عامر في حالمين ، وفي الأزارق آل ابن سبعة في يهر من يافع . انتهى بتصرف .

قدم يافع في حضرموت :

ذكرنا أن وجود يافع في حضرموت موغل في القدم ، وأن بعض اليافعيين اندمجوا مع القبائل الحضرمية وأصبحوا جزءاً من هذه القبائل ولم يحتفظوا بأنسابهم ، أما الذين احتفظوا بأنسابهم فهم إلى اليوم يعيشون في كثير من أجزاء حضرموت .

وأكبر وفد أتى إلى حضرموت هو الوفد الذي استقر في القطن في الوقت الذي قدم به سيف بن ذي يزن ومعه الجيش الفارسي لتحرير اليمن من الأحباش .

وقد ذكر ذلك المؤرخ الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف في كتابه «الشهداء السبعة» قائلاً :

«في عهد سيف بن ذي يزن وفدت على حضرموت قبيلة

---

(١) الشهداء السبعة : ٢٠ .

يافع ، واستقرت في بعض المنطقة المعروفة بالقطن»[١] .

وذكر أن بدر بن عبدالله أبو طويرق اضطر إلى تجنيد أفراد من يافع والزيود والغز[١] .

وقال أيضاً :

«من الخطأ الشائع أن بدراً هذا هو الذي جلب يافعاً من الجبل لأول مرة ، والواقع أن يافعاً قدماء في حضرموت ، وقد أشرنا إلى ذلك في هذا الكتاب ، والجنود الذين كانوا في جيش بدر أبو طويرق هم من سكان حضرموت .

أما البيت المشهور :

لا حل لك يا بدر جبت يافع

فقد قاله الشيخ سعد بن علي بامذحج المتوفى سنة ٨٥٧هـ في المعركة التي دارت سنة ٨٥٥هـ بين بدر بن عبدالله أبو طويرق وآل يماني في الموقع المعروف باسم باجلحبان ، وكان في جيش بدر فرقة من المقاتلين اليافعيين»[٢] .

وقال كذلك :

---

(١) المرجع السابق : ٩٩ .

(٢) انظر تعليقنا على أبيات السويني في صفحة (٣٠) من هذا الكتاب .

«وأما الستة الآلاف الذين أتوا من يافع إلى حضرموت فقد جاء بهم السلطان بدر بن محمد المردوف بن بدر بن عمر بن بدر أبو طويرق، وذلك في شهر الحجة سنة ١١١٦هـ»[١].

من هنا نعلم قدم يافع في حضرموت وشهرتهم بالشجاعة وتأمين المناطق التي سكنوها.

كذلك لم يكن وجودهم بالقطن فحسب، فقد كان لهم وجود في وادي العين، ووادي دوعن، ووادي عمد، وريدة المعارة، والشحر، والمشقاص.

أما القطن فوجودهم به بكثرة، ويبدو أن الذين وفدوا في عهد سيف بن ذي يزن واستقروا بمنطقة القطن لم يكونوا أول الوافدين، فقبلهم كان لهم وجود بالقطن.

ومن تمعن في يافع القدماء يدرك بسرعة قدمهم؛ لتأقلمهم في المناطق التي سكنوها من عهود قديمة، ولن تستطيع بسهولة أن تميز بين المعاري والكلدي واليزيدي والغرابي والنشادي والحمومي والضريبي والجعيدي والحضرمي القديم، فنظرة إليهم تثبت أنهم أصبحوا في

---

(١) الشهداء السبعة.

سحنهم وعاداتهم يحملون نفس سحن وعادات رجال المناطق المجاورة لهم بفضل الإصهار والامتزاج.

أما الذين أتوا من بعد فيبدو واضحاً أن وجودهم كان متأخراً؛ لظهور سمات وسحنات تختلف عن سلفهم، وكذا عاداتهم، فلا زال البعض متمسكاً بعادات أجداده في يافع، حتى في ألعابهم مثل الرقص والبرعة التي لم تفارقهم مع طول الزمن، وحتى في الأكل وتنويعه، مع الأخذ بالكثير من عادات البلاد التي استقروا فيها.

لقد شاهدت يافعياً في دمون وآخر في ثبي قرب تريم، وبالرغم من قدم وجودهم فما زالوا يتكلمون بكلمات يافعية، وأسأل أحدهم في دمون عن وجوده، فقال: أنا سابع صفَّة، فجدي الأول كان يسكن في مدينة تريم، وبيتنا لا زال معروفاً، وأنه بُني محله بعد هدمه قصر آخر لأحد السادة بتريم بعد أن تحول جدنا الرابع إلى دمون، فاستغربت ذلك.

ولكن زال الاستغراب مني حين زرت مدينة قسم، وأخبرني المقدم العبد بن علي بن يماني بوجود عدد من يافع قدماء سكنوا في قرى كثيرة من أراضي آل تميم، وأصهروا

منهم، وأنجبوا كثيراً من الأبناء، وبمرور الزمن أصبحوا من آل تميم في عاداتهم وتقاليدهم، فقلَّ من يميز اليافعي من التميمي، وهم اليوم يملكون المال والعقار، ومنهم الآن مجموعة في أفريقيا مهجر آل تميم، ومنهم قسم في السعودية.

هواية اليافعي للجندية :

في جولة في أرجاء حضرموت كنت عضواً في لجنة مكونة من رئيس القضاء الشيخ عبدالله بن عوض بكير، والشيخ عمر بن عبدالله باسويد، والشيخ أحمد بن سالم باحكيم لجمع التبرعات لعرب فلسطين.

وقد شاهدنا مدى التأثر في الجماهير حينما كنا نلقي الخطب نحثهم على مساعدة إخوانهم المجاهدين، وأكبر حفلة كانت في دوعن بين الرباط وقرن باحكيم والعرض، حيث شاهدنا قبائل الوادي بأسلحتهم، يحيطون بالجمهور، ويبدو على وجوههم أثر التحفز والبذل والفداء والتضحية.

ونتيجة لذلك فقد تجمع عدد من الشباب، وصمموا على الذهاب إلى فلسطين ليشاركوا إخوانهم بالنفس، ومنهم مجموعة من أبناء يافع، استقالوا من الجندية وسافروا إلى

مصر والأردن، والتحق بهم شباب آخرون يعملون أعمالاً حرة، وفعلاً شاركوا في القتال في عدة جبهات، فمنهم من عاد، ومنهم من قضى نحبه في المعركة التي كان يقودها الشريف عبدالله والتي باءت بالهزيمة، ولم نجد لهم ذكراً غير أن شباباً من اليمن اشترك في هذه المعركة.

أما الذين ذهبوا من يافع[١]، فقد كانوا ثلاثمائة شاب كما ذكر السلطان غالب بن عوض في تاريخه قائلاً:

«إن ثلاثمائة من شباب يافع استجابوا لداعي الجهاد، والتحقوا بجبهة التحرير، وتدربوا في مدرسة حربية بمصر، وأرسلوا إلى (ممر متلا) الذي زحفت منه إسرائيل، فأمرتهم القيادة بالانسحاب، فرفضوا الأمر واشتبكوا بمعركة مع إسرائيل بأسلحتهم الخفيفة بينما جنود إسرائيل تتستر بالمدرعات ومعهم الأسلحة الحديثة، وقاتل هؤلاء الشباب اليافعي إلى آخر رجل منهم»[٢].

استُشهد هؤلاء اليافعيون على أرض فلسطين ولم

---

(١) أعني يافع الجبل.
(٢) تاريخ حضرموت.

يذكرهم المؤرخون، وإنما ذكروهم بأسماء اليمانية، مع أن اليمني إذا ذكر انتمى إلى أصله كالعنسي والأكوع والخولاني، أما اليافعي فيكتفي المؤرخون بانتمائه اليمنى فقط؟!

لقد طالعت كتاباً ألفه أحد المصريين عن الخدمات التي قدمها اليمانيون لمصر، قال فيه مؤلفه :

«اختطت بها بطون من حمير سنة ٢١هـ في أعقاب الفتح مباشرة، وذلك بعد أن جعل عمرو[١] فريقاً من جيشه بهذا الموضع غرب النيل، وقد كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بأن همدان التي شاركت في أعمال الفتح وغيرها من آل ذي أصبح ونافع[٢] ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب إليه: كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك، بينك وبينهم بحر لا تدري ما تفاجأهم، فإن رغبوا في البقاء فأقم عليهم حصناً من فيء المسلمين»[٣] .

وقد أوضح المؤلف أن عمراً خيرهم بين البقاء أو النزول

---

(١) فاتح مصر الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٢) يقصد يافع .

(٣) «القبائل اليمنية في مصر» : ٦٢ .

بالفسطاط كسائر القبائل الأخرى، وأنه أقرع بينهم فوقعت على (يافع) فيهم، وفرغ من بنائه سنة ٢٢هـ.

ويبدو من رواية ابن دقماق أن نافع[١] ابن الحارث هو الذي عهد إليه عمرو بالإشراف على تخطيط الجيزة والنزول بها، وكان من قبيلة رعين[٢].

أرأيت كيف تجاهل المؤرخون قبيلة يافع حتى حرفوا اسم يافع إلى نافع !وذلك لأمرين:

١ـ إما أن تكون قبيلة يافع في مصر لم تحافظ على انتمائها إلى يافع واكتفت بالانتماء إلى اليمانية فضاع اسم يافع منها.

٢ـ وإما أن تجاهل المؤرخون اسم هذه القبيلة واكتفوا بانتمائها إلى اليمانية، مع أن غالب القبائل ذُكرت بانتمائها إلى أصولها كهمدان وخولان وتجيب وغيرهم، أما قبيلة يافع فقل أن تذكر إلا بالتعميم والتعتيم مع مالها من أثر في العلم والسياسة والأدب، لولا أن المؤرخ الشهير حبيب جاماني

---

(١) يقصد يافع.

(٢) المرجع السابق: ٦٣.

أحيا اسم يافع في كتابه «صليل السيوف» .

ومن المؤكد أن يافعاً انساحت في شمال أفريقيا والجزر في البحر المتوسط إبان الفتوح الإسلامية ، ولم نعلم عنهم إلا القليل .

وقد يجيء اسم اليافعي عرضاً كدرع بن يشكر اليافعي ، فقد ذكر أبو سديرة بأنه أحد القادة الذين اشتركوا في قتل الخليفة الثالث[١] .

وليافع وجود في الشام ومصر والعراق وشمال أفريقيا ، وقد ينتمون إلى بني مالك أحد أجدادهم ، واكتفوا بهذا الانتماء .

حدثني الثقة الصدوق[٢] محمد علي الصلاحي رحمه الله أن جماعة من حجاج المغرب وقفوا أمام الدكان ينظرون إلى اللوحة ، وكلما ذهبوا عادوا يطالعون الاسم المكتوب في اللوحة ، قال : ففتحت الباب وقلت : لكم حاجة أو خدمة ،

---

(١) انظر صفحة (٤٤) من هذا الكتاب .

(٢) أقول : الثقة الصدوق لأنه عرف بالأمانة والصدق وحب الخير ، وكم له من أياد على من عضهم الدهر بنابه ، وكان رحمه الله يغضب إذا أثني عليه ، ورزقه الله بنين سار بعضهم على نهجه ، بارك الله فيهم ، ورحم الله والدهم.

تفضلوا أهلاً وسهلاً، فرد أحدهم شاكراً وقال: أنت صاحب هذا الدكان؟ فقلت: نعم، فما كان منهم إلا أن وضعوا جوازاتهم أمامي فقالوا: نحن من آل الصلاحي، ومنا جالية كبيرة في المغرب نزلها الجدود إبان الفتح الإسلامي وتنتسب إلى يافع فهل أنت من يافع؟ فقلت لهم: نعم، فقالوا: نريد أن نتعرف على أهلنا، ونحن ندعوك غداً إلى مدينة الحجاج بعد الظهر مباشرةً ليتعرف عليك إخوانك، فقلت: لا، بل أنتم ضيوفي غداً، فقالوا: منا كثير فأولاً زرنا غداً ثم نقرر ميعاد لزيارة منزلكم، فأجبتهم إلى ذلك.

وفي الميعاد كنت بمدينة الحجاج وإذا هم في انتظاري أكثر من عشرين فرداً، وصحبونا إلى الغرفة المعدة لنزولي، فإذا بأولادهم وبناتهم دخلوا يسلمون عليَّ قائلين: عمُّنا محمد عمُّنا محمد، وغصت الغرفة بهم وإذا بهم أكثر من ثلاثين، وشعرت بالخجل من احتفائهم بي وعرضوا عليَّ المال فقالوا: نحن أغنياء، فشكرتهم على ذلك، وقلت: وأنا والحمد لله حالي مستور، ووجهت لهم دعوة إلى منزلي فقالوا: على عودتنا بعد انتهاء مناسك الحج سنتشرف

بزيارتكم، وبقوا يترددون على الدكان مدة وجودهم بجدة، ثم توجهوا إلى مكة لأداء مناسك الحج، وبعد أن أكملوا مناسك الحج عادوا إلى جدة، وشرفونا إلى منزلي، وقابلوا بعض آل الصلاحي، وكانت أمسية حافلة بالمشاعر والعواطف التي شعرنا بلذة اللقاء وكأن المعرفة بهم قد كان لها سنين عديدة.

وبعد أيام تودعوا مني إذ أقبل منهم ومعهم أولادهم زهاء عشرين فرداً، ولو رأيت الدموع وهي تجري على خدودهم لأخذك العجب، ولم يجلسوا لضيق الدكان، وقدمنا لهم بعض الهدايا، وعادوا بحفظ الله إلى وطنهم المغرب، وكتبوا لي عدة رسائل وأجبت عليها وبقيت المكاتبة عند المناسبات. انتهى.

إذا كان آل الصلاحي يكونون جالية كبيرة في المغرب وهم فخذ من يافع فما بالك ببقية الفخائذ اليافعية؟

التعقيب على ابيات السويني :

ذكرت بعض تواريخ حضرموت أبياتاً نسبت للشيخ سعد السويني وهي:

رأسي ضـرب من حنة المدافع   لا حـل لك يا بدر جبت يافع
عسى لهـــم نذقه إلى سقطـرا   والأرض تصفو برها وبــحرا
علقتنا في شوك ما تبرا

ونقول: إن الشيخ سعد كان موجوداً في القرن التاسع الهجري، ويافع لهم وجود في حضرموت، لغتهم اللغة الحضرمية، ولا يوجد مدفع ولا بندقية، شأنهم شأن الحضارم في التجارة والزراعة وحماية أماكنهم بقوة السلاح المتوفرة في ذلك الوقت.

والأبيات لا تدل على تنبوء بل تدل على مشاهدة عارضت يافع، ووجوه يافع ليست مثل التراب ولكنها فائقة في الجمال، وفي هذه الأبيات وصف للهجة يافع، ولهجتهم تختلف عن لهجة يافع الحضارم ولكنها عربية.

إذاً فالأبيات لا تصح نسبتها إلى الشيخ سعد لأنه لم يشاهد يافع الجبل الذين يطلق عليهم الأغراب، وفي نفس الوقت لم يخلق أبو طويرق، ولم تكن الأبيات تدل على التنبوء، فإذاً الأبيات ليست للشيخ سعد ولكنها لشخص غيره عاش عند ظهور البندقية.

ولكن الشاعر يظهر على معاني أبياته حقده وعداؤه ليافع، وللتعمية والإبهام نسبت لرجل لم ير بدراً ولا يافعاً الأغراب ولا البندقية، وتعللوا بأن ذلك من قبيل التنبؤات، وكلنا قرأنا تنبؤات با مخرمة ووجدناها واضحة؛ لأن تنبؤاته مصحوبة بعلامات، وهذا معقول، ويبدو أن هذا الشعر قيل أيام بدر المردوف المار ذكره الذي أتى بيافع الأغراب في أوائل القرن الثاني عشر.

***

وفي ظني أن كره الناس ليافع له أسبابه، منها أنهم لا يقبلون الإهانة ولو من السلطان نفسه، لهذا السبب قيل من النثر والنظم الشيء الكثير، وينسبون ذلك لرجال مضوا خوفاً من الانتقام، وينسبون للعلويين كثيراً من الشعر المقذع، كما ينسبون أبشع الجرائم ليافع، مع العلم أن عقيدة يافع في العلويين بلغت إلى حد العبادة حتى أن النذور لبعض السادة تكون في كل حقل بل إنهم يفرضون على أنفسهم إخراج العشر من جميع حاصلات الأرض لبعض السادة العلويين الذين في حضرموت بدافع المحبة إلا أنهم لا يقبلون أي إهانة

ولو من حبايبهم.

ولا بأس أن أروي قصة لها مغزى لتعرف مدى الولاء اليافعي للسادة بالرغم مما يحصل من اليافعي إذا مس شرفه وأهينت كرامته أو حصلت ضده تجاوزات من أحب الأحباء.

أتى ذات يوم أحد السادة وقصد بيتاً معروفاً بالكرم وحب الضيف في إحدى قرى يافع، فاحتفى به صاحب البيت احتفاءاً يليق بمقام الحبيب، وحضر بعض وجهاء القرية، وقدمت المائدة الدسمة على عادة تلك البلاد، وبعد السمر قاده إلى غرفة نومه زيادة في تكريم الحبيب، وفي الغرفة جراب معلق على وتد فيه خمسمائة ريال، وفي الصباح وبعد صلاة الفجر قدم الفطور المناسب ثم نهض الحبيب قائلاً: أكرمك الله، وقام الرجل وأصلح ما يلزم على البهيم ووضع الخرج على الفرش وساعد الحبيب على ركوب البهيم وودعه بحرارة، ثم ذهب اليافعي إلى حقله.

ومرت جلبة من الغنم فاشترى خروفاً، وعاد إلى البيت ليأتي بالثمن لصاحب الغنم، وكانت الدهشة حيث لم ير الجراب في محله وصاح بالمرأة: هل رأيت الجراب؟ فقالت:

لم أطلع إلى الآن للغرفة، فأخذ بندقيته وتتبع أثر السيد فوجده قد نزل في قرية قريبة، ودخل منزل المضيف ووجد أهل القرية محيطين به، فبعد أن سلم على الحضور اقترب من السيد فقال له: الجراب معك يا سيد، فصاح في وجهه: أتسرِّقني؟ فاندهش القوم من تهمة أخيهم للحبيب فأجاب الرجل: حياتي متوقفة على الجراب وما به، فلما رأى منه الجد قال: اذهب إلى الخرج، فلربما أخذته مع متاعي بدون إرادتي، أي ناسياً، وذهب اليافعي إلى مكان الخرج فوجد الجراب وما به كاملاً فعاد إلى قريته، فقالت المرأة: وجدت الجراب؟ قال: نعم مع السيد.

وعلق جرابه وذهب إلى حقله، وتنادين النساء قائلات لزوجة الرجل: هل وجد الجراب فلان؟ قالت: نعم مع السيد، فأخذن يلقين الكلمات البذيئة فأسكتتهن المرأة قائلة: أما القطب فوالله إنه قطب إلا أنه سويرق. انتهى.

أما ترى حب السادة وأثره في قلوب يافع الذكور والإناث، ولو كان سارقاً إلا أنه قطب.

وقد قال السيد الشهير العلامة السيد عبدالله بن علوي

الحداد: إن يافع في بلادهم زيان، ولكن إذا فارقوها تغيروا.

وفي هذه الجملة معاني كثيرة تحتاج إلى بيان.

وسائل الإعلام قبل ظهور الصحف والإذاعة والتلفاز:

كانت وسائل الإعلام في الماضي تعتمد على وسيلتين رئيسيتين، ووسيلة ثالثة أقل، ورابعة أيضاً مهمة لكنها محلية:

١ـ الرسائل.

٢ـ المسافر.

٣ـ الشعر.

٤ـ المناداة والتطوربة.

الوسيلة الأولى: الرسائل:

كانت الناس في يافع وفي حضرموت بل وفي الجنوب كله يتلقون الأخبار بواسطة الزسائل المتبادلة بين الناس في الوطن أو المهجر.

وكانت العادة أن يكتب المرسل (بكسر السين) الرسالة.

وبعد الحمد والصلاة على رسول الله يبدأ بالأخبار عن الجهة التي هو بها فيشرح الحوادث بالتفصيل والإسهاب وما وصل إليه علمه من الجهات البعيدة بنفس الوسائل الآنفة الذكر، ثم بعد ذلك يكتب الغرض الذي من أجله كتبت الرسالة.

وعندما تصل الرسالة إلى المرسل إليه يتجمع الناس وتُقرأ الرسالة بصوت مسموع إلى أن تنتهي مقدمةالأخبار، فيتناقل الناس هذه الأخبار من بيت إلى بيت، ومن قرية إلى قرية، وينتشر الخبر في القرى المجاورة والبعيدة، ولربما سارع البعض بالكتابة إلى المدن والقرى النائية بهذه الأخبار.

الوسيلة الثانية: المسافر:

كل مسافر يريد منطقة نائية أو عائد من مهجره عليه أن يلم بالأسعار والحوادث من محل إقامته وكل منطقة اجتازها حتى يصل إلى محله، فكلما نزل بقرية أو مدينة فإن من العادة أن يتجمع أهل القرية أو الحي من المدينة، فإذا اكتمل الجمع تقدم أحدهم مرحباً بالضيف أو المسافر الذي عاد إلى قريته قائلاً: خدمة للجماعة الحاضرين والغائبين نرحب

بك، فأهلاً وسهلاً، والجميع يطلبون منك الأخبار من حيث أتيت وعلى طريقك، فيجيب: شرفكم الله وأكرمكم، الأخبار لا تخفى عليكم ولكن امتثالاً للأمر، فيبدأ بالأخبار عن المنطقة التي قدم منها ويسرد التفاصيل من حوادث وأسعار، وهكذا يخبرهم عن المناطق التي اجتازها حتى المناطق القريبة منهم، هذا ما عرفناه وما قصر فنطلب إتمامه وأخبار منطقتكم، وإن كان من نفس القرية يقول: ونطلب ما لديكم من الأخبار.

وقد يستمر حديث المسافر الساعة والساعتين، ثم يجيب أحد الحضور فيقول: ما لدينا أكثر مما تفضلت به إلا أن الحوادث التي حدثت هي كذا وكذا، والأسعار كذا وكذا، وعن الغيث أو الجدب بالتفصيل، وقد يستغرق النصف الساعة أو الساعة أو أكثر حسب الظروف، وبعدها ينفض المجلس، وما تغيب شمس اليوم التالي إلا والأخبار قد عمت القرية ومنها إلى القرى المجاورة أو المدن.

وعلى المتجول أن يحفظ الأخبار التي استمع إليها فإنه كلما نزل بمحل لا بد أن يُسأل ولا بد أن يجيب.

الوسيلة الثالثة: الشعر:

وسيلة الشعر غالباً ما تصور الحوادث الطبيعية أو الحروب، فالشاعر يصور كارثة فيضان في منطقة أو مناطق، وقد يحصي الدمار الحاصل من جرف النخيل والمزارع والمواشي والناس القريبين من مجرى السيل، وهذه القصيدة تُحفظ وتُرسل إلى كثير من الجهات، أو إذا حدثت أزمة غلاء فكذلك.

وبها - أي هذه الوسيلة - قد يقول بعض الشعراء ما أحسه من الألم فينشئ قصيدة كرد على القصيدة المرسلة، وقد تختلف الأغراض مثل قصيدة الأحمدي القعيطي والذي رد عليه شاعر آخر[1]، وكل هذه القصائد اهتم لها الناس فتناقلوها وحفظوها بل وشرحوها.

الوسيلة الرابعة: التطروية والمناداة:

هذه الوسيلة قد تكون حكومية، إذا أرادت الحكومة أن تصدر قراراً أو الإخبار بمعاهدة تمت بين الحكومة وقبيلة من القبائل، أو تم الصلح بينها وبين قبيلة كانت محاربة

---

(١) انظر القصائد الثلاث ص ١٠٦ - ١١٦ من هذا الكتاب.

للحكومة، أو إشعاراً بمشروع عام مفيد للمواطنين، أوطلب التعاون من الأمة، وقد تكون التطروبة بانتظار باخرة تطلب ركاباً إلى جهة ما وإخبار الناس بالاتصال بالوكيل ليسجل الطالبين للسفر فيحدد الميعاد.

وبعد التطروبة «المناداة» يبادر الناس بالكتابة للأشخاص في الأماكن النائية فتجد قدوم المسافرين وقد قدموا من إماكن بعيدة قبل الميعاد.

إما التطروبة الحكومية فقد تكون إعلاماً بحرب مع قبيلة أو دولة .

وصفة التطروبة أن يقف المطرب «المنادي» على مكان مرتفع، وشرطه أن يكون صيتاً فيقول: يا سامعين الصوت أولاً، صلوا على محمد ثانياً، صلوا عليه ثالثاً، من عليه ذنب يقول: أستغفر الله، ثم يأتي بالخبر، وقد يلقنه ذلك أحد الكتبة، وفي نهاية الخبر يصرخ بأعلى صوته: يا حول حولاه بالصلح، فيجيبه الجمهور: بشرك الله بالخير، ويصرخ ثانياً ويقول: يا حول حولاه بالغيث العام والسيول، فيجيبه

الجمهور: بشرك الله بالخير.

القسم الثاني

شخصيات يافعيـة

شخصيات يافعية

تمهيد :

ذكر صديقنا المؤرخ الأستاذ محمد بن عبدالقادر بامطرف في كتابه الجامع عن المهاجرين مايلي :

أولاً: يافع :

«بطن كبير من سرو حمير، منازلهم الديار المصرية والمغرب العربي، شهدوا فتح مصر، واختطوا بالفسطاط بين خطط بكيل وحُجْر رُعَيْن، كما كانت لهم خطة بالجيزة، يقال لهم في مصر: يافع بن الحارث أو الحرث.

إبان الفتح كانت روح البداوة متحكمة فيهم، فإنه لما أراد عمرو بن العاص بناء حصن في وسط الجيزة لتقيم به القبائل المعسكرة بالجيزة رفضت هذه القبائل وهم همدان وخولان ويافع وأصبح وغيرهم من القبائل التي سبقت الإشارة إليها، فاضطر ابن العاص إلى الاقراع بينهم، فوقعت القرعة على يافع، فبنى الحصن في خطتهم، وخرجت طائفة منهم عن الحصن أنفة منهم.

وكان أبرز شخصيات يافع وقت الفتح مبرح بن شهاب، أحد رجال الوفود اليمنية إلى النبي ﷺ وقائد ميسرة عمرو بن العاص عند الفتح، ومنهم الصحابي عمرو بن مسعود من رجال الفتح أيضاً، ودرْع بن يشكر أحد قادة جيش ابن أبي حذيفة الستة إلى الخليفة عثمان سنة ٣٥هـ، وراشد بن جندل، وسليمان بن إبراهيم من محدثي مصر في القرنين الثاني والثالث.

وكانت يافع في طليعة الجيوش العربية التي فتحت شمال أفريقيا والمغرب العربي والأندلس، وكانوا يشكلون جزءاً قوياً وهاماً من القوة الحميرية الضاربة في جيش موسى بن نصير اللخمي، وفي المغرب اندمجت في تاريخ متأخر يافع في صنْهَاجة الحميرية الحضرمية وصاروا ينسبون إليها[١]»[٢].

---

(١) الجامع: ٤/٦٢٦.

(٢) مما سبق نعرف أن مجموعة كبيرة من يافع انتشرت في أفريقية، وفي الأندلس، وفي شمال أفريقية بكثرة، وفي مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، والسودان، والشام، ولكنّا للأسف لا نعرف عنهم شيئاً، وقد علمت أن في الصعيد المصري كثرة من يافع اندمجوا في الأسر الأخرى وقليل منهم ممن يحتفظ بانتمائه إلى قبيلته يافع. ولولا ظروفي الخاصة وتقدم السن لذهبت إلى تلك الجهات باحثاً ومنقباً، ولكن الميسور لا يسقط

ثانياً : الأحلاف:

«الأحلاف قوم من ذوي منصور ، من يافع الحميرية ، من عرب المعقل بالمغرب العربي ، ومن أفخاذهم العمارية ، والمنبات، ومجالاتهم بالقفر، تافيلات بالصحراء وبالجبل، ملوية، وقصور ، وطاط، وتازي ، وبطرية، وعساسة»[1].

ثالثاً : آل عياش :

«آل عياش فخذ من يافع، من سرو حمير ، استوطنوا أول أمرهم العراق والشام، ثم نزح منهم فريق إلى صحراء المغرب العربي، واندمجوا في قبائلها البربر، منهم المؤرخ محمد بن العياشي اليافعي أبو عبد الله ، ومن آل عياش العراق أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري»[2].

ونظراً لما لقبيلة يافع من شأن فقد ذكرنا بعض شخصيات

= بالمعسور. ولو تفضل الموسرون من يافع وبذلوا قليلاً من أموالهم لشراء المراجع وإعانة الباحثين وطبع إنتاجهم لأفادوا واستفادوا وخلدوا أسماءهم في سجل الخالدين، وبالله التوفيق.

(١) كتاب الجامع : ١/ ٧٣.

(٢) كتاب الجامع : ٣/ ١٥٤ .

يافعية لم نعطها حقها من التعريف والبيان[١]، وأحببت أن ألقي الضوء على بعضها حتى يسخر الله من يقوم بالبحث والتنقيب ويعطي هذه الشخصيات حقها مثل شخصية أبي نصر اليهري اليافعي.

من هو ابو نصر؟

أبو نصر ينتسب إلى ذي يهر، وهو يعفر ذو يهر بن الحارث بن أسد بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر.

وكان من أعظم المقاول، وقيل أنه سخر الناس في عمل له، وكان في وقته عجوز لها ولد فبادر مع الناس في عمل ذي يهر فلازمته لتعمل له غداء قبل سيره فأبى خوفاً من العقوبة قائلاً: إنني أخشى العقوبة فقالت له: لا بأس عليك فإني أغدو معك إلى مكان العمل، فبعد حوار خضع لأمر أمه، فلما تغدى سارت معه أمه إلى ذي يهر لينال عقوبة التأخير فوقفت أمامه العجوز قائلة:

ترفق بأمره يا ذي يهر فاليوم لك وغداً لآخر

---

(١) وذلك في كتابي «يافع في أدوار التاريخ».

فكف عن العقوبة، ويقال أنه اتعظ بكلام العجوز وقطع ذلك العمل .

وأما أبو نصر فهو شيخ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني الذي يعتبر كلامه هو القول الفصل، فهو المؤرخ الثبت بلا منازع، وهو الثقة المحقق بلا مدافع، علامة وقته بلا ممانع، وقد وصفه الهمداني في مقدمة الإكليل من أنساب حمير وأحبارها، ومما قاله :

«هو أبو نصر محمد بن عبدالله بن سعد بن عبدالله بن محمد بن وهب آل بن نوف بن يعفر بن شرحبيل بن عريب بن زيد بن وهب آل بن يعفر بن ذي يهر الأصفر بن زيد بن شمر بن شرحبيل بن شمر بن زرعة بن شرحبيل بن زرعة بن وهب آل بن ذي يهر الأكبر بن الحارث . . .

وأبو نصر هذا هو شيخ حمير، وناسبها، وعلامتها، وحامي سفرها، ووارث ما ادخرته حمير في خزانتها من مكنون علمها، وقارئ مساندها، والمحيط بلغاتها إلى آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس» .

وأبو نصر مع كونه عالماً بالأنساب فهو علامة في علوم

الدين فقهاً وأصولاً ومحدثاً ومفسراً إلى جانب علوم الآلة من نحو وصرف وفصاحة وبلاغة وبيان .

وكان مع ذلك تقياً زاهداً عابداً حافظاً ومحافظاً .

ولما ظهرت القرامطة هرب بدينه إلى صعدة واستقر بها إلى أن أجاب نداء ربه ومات بها ، وكان له قصر يسكنه يسمى بقصر حدة ذي يهر بالمحل المسمى ببيت حنيص فأحرقه أبو الملاحق القرمطي[1] فأخذت النار تلتهمه لمدة أربعة أشهر تتبع الأخشاب مما يدل على مكانته الاجتماعية والعلمية .

وخلف أبو نصر اليهري أولاداً سمُّوا بالقضاة ولا علم لهم بعلم أبيهم، لأنهم نَحَوا نَحْوَ الشيعة في مذهبهم فانطمست أخبارهم واختفت آثارهم ولم يدون لهم ذكر في كتاب، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب .

أما يحق لقبيلة يهر الكبرى أن تحيي ذكرى العلامة وتنقب عن آثاره؟ فهي ـ أي قبيلة يهر ـ أحق بأن تفخر بهذا الطود العظيم ، وكذا كل يافعي يحق له أن يفخر ويعتز بهذه الشخصية الفذة، وأن تحيي ذكراه وتأتي بالجديد ليتسق مع

---

(١) القرامطة مذهب معروف يستحل المحارم ويسفك الدماء وينهب الأموال .

القديم ، ولكل قبيل من الناس علم منها لتسلك مسلكه وتنهج نهجه ، فعسي أن نرى من الشباب اليافعي المثقف ما تقر به العين من البحث والتنقيب وإفادة الجماهير بعظمة ماضي العلماء الأخيار وخلفهم الصالح الأبرار، وفي إمكان اليافعي اليوم أن يفعل ذلك لما يملك من ثروة لو أخرج منها جزءاً بسيطاً لتشجيع الباحثين ونشر المعلومات وما يتحصل عليه العلماء من آثار مشرفة وأدوار عمل مجيدة خلفها الأجداد للأبناء والأحفاد لو كانوا يعلمون!

ومن المؤسف أن رجال المال لا يهتمون بهذه الناحية التي ستخلد أسماءهم وتبقي آثارهم، أما المال والتكالب على الدنيا فيذهب المال ويموت صاحبه ولم يخلف له ذكراً ولا لساناً يدعو له، وكم شاهدنا وكم سمعنا ما يثير الألم والحزن، بينما ترى الأمم اليوم تتسابق لإحياء آمجاد قومهم ويبذلون المال والجهد ، وعليك أن تطوف في المكتبات الكبرى فتجد ما يدهشك من العناية بتاريخ السلف ومالهم وما عليهم ليكون الخلق على بصيرة في كل أمورهم .

ويسعدني أن أقدم للشعب اليافعي ما عثرت عليه بعد البحث والمواظبة، شخصيات علمية ظلت سراً مكتوماً لا نعرف عنها شيئاً سكنت مصر منذ الفتح وتوطنوها، وهم يحملون دعوة الإسلام، وحدثوا عن رسول الله ﷺ، ورووا عن الصحابة أو عن التابعين، وضربوا بسهم في كل ميدان، وكان من نصيبهم أن أهملت أعمالهم واختفت أسماؤهم لولا أن عالماً نساباً عاش في آخر القرن الخامس وأول القرن السادس متوفى عام ٥٦٢هـ موصوف بالعلامة الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، ذكر عشرة من رواة الحديث في آخر الجزء الخامس من كتابه المسمى بالأنساب.

ونص كلمته قوله: اليافعي وبين قوسين«.......» ومنهم، وفي آخر الصفحة جاء في التعليق: تحقيق عبدالله بن عمر البارودي قائلاً: ومكانه في الباب هو يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين بطن من حمير ثم رعين وهم بمصر.

وإليك أسماؤهم كما جاء في الكتاب الآنف الذكر :

المحدثون المصريون من يافع[1]:

الأول: المحدث العلامة أبو يزيد أنس بن عمران اليافعي.

يروي المقاطيع عن روح بن الحارث بن حنش الصنعاني، روى عنه أبو عبدالرحمن المقرئ وموسى إسماعيل التبوذكي، قال أبو حاتم الرازي: أنيس بن عمران شيخ. وقال أبو حاتم ابن حبان: أنيس يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، روى عنه عبدالله بن يزيد المقرئ.

الثاني: راشد بن جندل اليافعي.

يروي عن حبيب بن أوس الثقفي، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب.

الثالث: عمرو بن شعواء اليافعي.

يقال أنه من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد فتح مصر، يروي عن أبي ذر الغفاري، روى عنه أبو معشر الحميري وسليمان بن زياد الحضرمي، قاله ابن يونس.

الرابع: عبدالله بن سعيد بن الصعبة اليافعي.

---

(١) التراجم العشرة المذكورة نقلاً عن كتاب «الأنساب» للسمعاني: ١٣/ ٤٧٢-٤٧٤.

يروي عن عبدالجليل بن حميد، روى عنه ابن وهب.

الخامس: عبدالله بن موهب بن الأصرم اليافعي.

روى عنه نضلة بن كليب بن صبح اليافعي.

السادس: محمد بن عمرو اليافعي.

يروي عن ابن جريج، وروى عنه ابن وهب.

السابع: سليمان بن إبراهيم اليافعي الاسكندراني أبوالربيع.

يروي عن الليث بن سعد وضمام بن إسماعيل والثوري، حدث عنه سعيد بن عفير ويونس بن عبدالأعلى.

الثامن: نضلة بن كليب اليافعي.

حدث عن عبدالله بن موهب اليافعي.

التاسع: عبدالله بن الصقيل اليافعي، أبو سهل.

روى عنه ابنه سهل، وضمام بن إسماعيل، قاله ابن يونس.

العاشر: عبدالواحد اليافعي (غير منسوب).

روى عنه أبو هاني الخولاني، قاله ابن يونس.

***

وبعد أن أتممت كتابي هذا تفضل صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سعيد بن علي بن سعيد بامخرمة الجوهي السيباني الحميري بإتحافي بتراجم لعلماء من يافع، كنت قد ذكرت أسماء بعضهم في كتابي رحلة إلى يافع، ولكن الشيخ سعيد بالرغم من كثرة أعماله فهو ملازم لمكتبته العامرة يفتش وينقب ويدون فوائد وفرائد متنوعة من تاريخ وتراجم ونحو وصرف وفلسفة إلى جانب تخصصه بالفقه والحديث والتفسير، ولكونه حريصاً على توسعة مكتبته بما جد من مطبوعات فهو أحرص على الكتب القديمة، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وله مني دوام الشكر والعرفان على مجهوده وعنايته بالتاريخ اليافعي بصورة خاصة.

وفيما يلي تراجم مختصرة لبعض الشخصيات اليافعية، جمعت من مصادر مختلفة، وهي تنبئ عن غزارة علم، وخصوبة فكر، وحسن سيرة، وتفوق في مجالات متنوعة:

١ـ ذو الطوق اليافعي:

أحد قواد علي بن الفضل الخنفري المحنك الذي كان يقود

الجحافل لقمع المعاندين وفتح البلدان، وقد لازمته الانتصارات في كل مواقعه الحربية.

وهذا القائد بالرغم من تغلبه على المعاندين فهو وعلي بن الفضل غير مرغوب فيهما للمبادئ التي يحاربون من أجلها، ولهذا فقد ننسى أمره بعد أن شاع خبره وبعد صيته، وقد قتله الأمير الكبير عبدالله بن يحيى بن أبي الغارات المجيدي في نجد المعافر سنة ٢٩٦هـ.

٢ـ أبوبكر بن عبدالله اليافعي:

أبوبكر بن عبدالله اليافعي قاضي الجند، ومؤلف كتاب المفتاح في النحو.

قال حاجي خليفة في كشف الظنون: «المفتاح في النحو مختصر للقاضي أبي العتيق أبي بكر بن عبدالله اليافعي الجندي المتوفى سنة ٥٥٣هـ، وهو من الكتب المفيدة لأهل اليمن[١]».

«يافع» أظنه موضعاً باليمن، ينسب إليه القاضي أبوبكر

---

(١) انظر كشف الظنون: ٢/ ١٧٧٠.

اليافعي قاضي الجند، صنف كتاباً في النحو سماه «المفتاح».

ومن هنا نلاحظ أن الجهل بموقع يافع كان سبباً في تعتيم تاريخه، مع العلم أن مخلاف يافع المسمى «سرو حمير» المعروف بحدوده الواسعة من مشرق اليمن المشتمل على هضبة واسعة تسمى «يافع السفال» والممتدة إلى الساحل عبر جبال وأودية عميقة، وتسمى هذه الأودية «بيافع بني قاصد».

واليافعي له وجود قديم في اليمن الشمالي كاليحيويين وأسرة عبد الملك بن أبي ميسرة في الدُمْلوة وإبراهيم بن أحمد الشاعر، ومنهم العلماء والوزراء والقادة، وهم منتشرون في أغلب المدن الشمالية والمقاطعات كذمار وزبيد وصنعاء وتعز وإب.

٣ـ عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس:

عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي القاسم بن أبي الأغر اليحيوي اليافعي المعروف بالهزاز «لفالج كان به».

تخرج بأخيه عبدالله، وكان فقيهاً بارعاً ورعاً ديناً، وامتحن بقضاء تعز فكانت سيرته مرضية، كان إذا مات أحد

وله أولاد صغار، وبقي شيء من التركة بعد تجهيزه وديونه أمر المؤذن أن يؤذن على جدار جامع المعزبة وهو مشرف على السوق: ألا إن فلان بن فلان توفي وخلف من العيال كذا، فقرر لهم الحاكم كذا من النفقة في كل شهر، فكان الناس يعرفون أموال اليتامى، ومع من، وما يصرف كل شهر وما يبقى، ولم يزل يلي القضاء المرضي إلى أن توفي في تعز في ربيع الآخر سنة ٦٤٤ هـ.

وكان للقاضي عمر بن أبي بكر أخ فقيه اسمه يوسف، توفي قبله بثمانية أيام، رحمهما الله.

٤- عبد الله بن أبي بكربن عبد الله بن قيس بن أبي القاسم اليافعي:

وهو الذي تخرج به عمر بن أبي بكر المذكور قبله.

٥- يوسف بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس اليافعي:

وهو أخو عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس اليافعي المترجـــم له برقم (٣) وأخو عبد الله بن أبي بكر المترجم له برقم (٤).

وهو الذي ذكره صاحب «قلادة النحر» آخر ترجمة عمر بن أبي بكر حيث قال: إن له أخاً فقيهاً اسمه يوسف توفي قبله بثمانية أيام.

هؤلاء من أسرة واحدة فكيف بالأسر اليافعية التي استوطنت اليمن الشمالي كأبي ميسرة وغيرهم الذين قد لا نعرف عنهم شيئاً وهم كما يبدو كثير كالشاعر إبراهيم بن أحمد الصنعاني.

٦ـ عمران بن ثواب:

عمران بن ثواب بفتح المثلثة والواو ثم ألف موحدة، أصله من يافع، وسكن ناحية الدملوة، وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً كاملاً، كان موجوداً في هذه المائة، أي آخر المائة السابعة.

٧ـ يحيى بن عمران بن ثواب اليافعي:

كان عارفاً بفنون شتى، وكان كريماً جواداً، وله شعر حسن، منه قوله:

لاشيئ أحسن من عناق الخرد

وألذ من شرب القراح الأسود

وأجل من رتب الملوك عليـــــهم
وشْي الحـــرير مطرز بالعــــسجــد
ســودُ الدفــاتر أن أكــون نديمهــا
طول النهــار وبرد ظل المســـجــد
فإذا هما اجتمعا لشخص فارغ
عن كل هم نال أبعـــد مــقــصــد
وعلا المفـاخـر والمحـامـد كلهـا
وحوى المحامد في الحياة وفي الغد
ثـم الصـــــلاة على النبي وآلـه
مـــا أرقلت عـــيس بقـــاع جَدْجَد

ولم أقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان موجوداً في هذه المائة، أي آخر المائة السابعة.

٨ـ محمد بن أحمد اليحيوي اليافعي:

محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوي اليافعي، أحد القضاة اليحيويين قضاة الدولة المؤيدية، كان فقيهاً، عاقلاً، زاهداً، متعففاً، الغالب عليه

سلوك طريق الزهد بحيث يقال : إنه ما اكتسب شيئاً من الدنيا ولا تزوج امرأة قط .

وكان عمه أبوبكر بن محمد بن عمر هو الذي تولى تربية ابن أخيه المذكور، ولم يتصلوا بالولاة والقضاة الذين كانوا فيه إلا بعد أن تفقه محمد المذكور وتعبد وحج وجاور بمكة والمدينة وعرف الناس يمناً وحجازاً، وكان ينوب عن عمه القاضي موفق الدين علي بن محمد بن عمر وزير المؤيد في قضايا الناس ويباشر أحكامهم، وما فعله لا يعارضه فيه أحد من أهله ولا من غيرهم، وكان هو المتولي لفصل قضايا الفقهاء والحكام غالباً حتى كان يظن أنه قاضي القضاة.

وصله يوماً بعض أفاضل العرب فلم يقض حاجته ولم يحفل به فخرج مغضباً وكتب إليه يعاتبه على جفائه له فقال : أحسنوا إلى خلق الله موافاةً لإنعامه، فالنبي ﷺ قال : «أحسنوا جوار نعم الله ، فإنها قلّ ما نفرت عن أهل بيت فكانت ترجع إليهم»[1]، وإنما يعرف قدر الفضلاء من كان منهم.

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ٣/ ٢٦٣، ورقم الحديث (٦٤٥٤).

ثم قال: وإذا كنت فاضلاً أو في بلدك فاضل فقد كتبت إليك بيتين عرفني بجوابهما:

وما سائر قد يرى مقبلاً

وطوراً على خلفه مدبراً

وليس له أرجل إن مشى

ويسبق كل الورى إن جرى

فلما وقف القاضي عليهما أوقف عليهما جماعة ممن يغشاه ممن يعرف بالفضل، قال الجندي: فلم ينقل أن أحداً منهم أشار بجواب، فوصل من أخبر الإمام أبا الحسن علي بن أحمد الأصبحي بذلك في محضر جماعة من أصحابه فأعجبه الشأن وقال: ما أراه أراد إلا النعمة.

وتوفي المذكور تاسع عشر القعدة سنة ٧١٢هـ.

ذكر الإمام بامخرمة في كتابه «ثغر عدن» علماء يافع وترجم لهم وخلد أسماءهم لما كان لهم من مكانه علمية.

٩ـ رضي الدين أبوبكر بن محمد بن أسلم القراع اليافعي:

كان إماماً في النحو، قال القاضي بن كِبّن: قرأت عليه

بعدن من أول ألفية ابن مالك إلى باب النداء وأجازني باقيها عند سفره.

وقرأ بمكة على الشهاب أحمد بن محمد بن عبدالمعطي جميع كتاب «المقصد الجليل في علم الخليل» لابن الحاجب، ودروساً كثيرة من تسهيل ابن مالك وألفيته، ومن كتاب مغني اللبيب لابن هشام، وسمع عليه جميع التسهيل وجميع الأوضح سنة ٧٨٦هـ.

وسمع كتاب «الشفا» للقاضي عياض على القاضي محمد بن إبراهيم الصنعاني في سنة ٧٩١هـ.

وكان له خط جيد مليح، كتب «التسهيل» وشرحه لابن عقيل و«مغني اللبيب» كل ذلك بخطه، ووقفت في دفة شرحه الذي بخطه على أبيات في مدح الشرح المذكور في آخرها:

قالها كاتباً محبة وتحققاً لا تجلخاً وتشدقاً.

وهذه الأبيات المشار إليها:

فك العقيلي عن ذرى التسهيل ما

ألقت من التحصين شم جلائله

واستفتح الإعضال من أطماته
وافتض كل أصوله بأصائله
حل الرموز من الكنوز مبرزاً
بدأ من الإبريز عين غفائله
فحوى المساعد من خضم علومه
درراً تلوح على رقوم دلائله
وغدا بحمد الله حلاً جامعاً
ما قد تفتق من عيون مسائله
وثوى بفضل قد تكفل بالثنا
لنقاب علم آض ثم فضائله
كانت بدا في الطالبين لعلها
عند الإله تكون خير وسائله
فلرب حرب في أخير زمانه
ساوى الأوائل في علوم أوائله
ولرب نزر في قواعد علمه
ما في الطوال متوجاً بغلائله[1]

---

(١) غالب ظني أن الأبيات بخطه ، فتكون له .

وذكر الإمام بامخرمة في «قلادة النحر» في ترجمته لإسماعيل بن علي بن محمد بن عمر الحباني أنه لقي جماعة من الأئمة الأعلام مشائخ الإسلام، منهم الفقيه جمال الدين محمد بن عيسي اليافعي، وذكر في ترجمة أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ بعدن أنه قبر بجوار الحائط من المجنة بحافة البصال، وبجوار قبور جماعة من أهل الفضل منهم القاضي عيسى بن محمد اليافعي وأولاده عمر وعلي، كما ترجم للفقيه أحمد بن عبدالله بلعيس اليافعي وأنه اشتغل بالقراءة في عدن على الشيخ محمد بن أحمد بافضل وعبدالله بن أحمد بامخرمة وأنه توفي بذي الحجة سنة ٩١٠هـ .

١٠ـ محمد بن يحيى بن عمران بن ثواب اليافعي :

محمد بن يحي بن عمران بن ثواب اليافعي بفتح المثلثة والواو ثم ألف موحدة، وكان فقيهاً فاضلاً ، ذا فطنة ثاقبة ودين كامل وأنس لقاصديه، وامتحن بقضاء بلده، وعمي في آخر عمره، ولم يتغير حاله من التدريس والفتوى والقيام بالوارد والقاصد، وتوفي لبضع عشر وسبعمائة .

وقد كان رحمه الله داعياً ومرشداً ومعلماً، وكان محله مراد القاصدين، يقري الضيف، ويواسي المحتاجين، ويجيب على أسئلة السائلين، وبالرغم من فقده البصر فقد ظل مجداً ومجتهداً ومحباً لطلبة العلم ومرحباً بالوارد والقاصد إلى أن أجاب داعي ربه كما تقدم.

١١ـ أحمد بن محمد بن ثواب اليافعي:

أحمد بن محمد بن يحيى بن عمران بن ثواب اليافعي، وهو آخر الفقهاء الذين ذكرهم الجندي من بني عمران بن ثواب، وهو ابن المترجم له قبل هذا.

١٢ـ محمد بن عثمان اليحيوي اليافعي:

محمد بن عثمان بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوي اليافعي، تفقه ودرس في مدرسة أم السلطان بتعز، ثم رتب بالمؤيدية، وكان فريد قومه في شرف النفس وعلو الهمة، توفي سنة ٧٢٨ هـ.

١٣ـ محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي اليافعي:

ولد سابع عشر الحجة سنة ٦٩٤هـ، وكان فقيهاً فاضلاً

ديناً، واستمر في قضاء الأقضية حتى سنة ٧١٤هـ، فقام كقيام أبيه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ذا همة عالية وشرف، كثير التفقد للمنقطعين من أهل العلم وغيرهم، وله مآثر جيدة لم يعملها سلفه.

ولما حصل بين الناصر بن الأشرف وبين عمه المؤيد ما حصل اتهمه المؤيد في القضية فعزله وأقصاه وصادر أمواله وسجنه، ثم ولي الأكبر مدة يسيرة في أول دولة المجاهد، ولم تزل تتطور به الأحوال إلى أن قتل صبراً في صفر سنة ٧٢٩هـ.

وكان رحمه الله قوي الشكيمة، لا يداهن، ولا يجامل، نزيهاً، متديناً، يتفقد طلبة العلم والمنقطعين من أهل العلم وغيرهم، ويستوي في القضاء عنده الحاكم والمحكوم مهما كان الأمر، ولا يخاف لومة لائم، ومن هنا اتهم في مسألة الخلاف بين الناصر بن الأشرف وبين عمه المؤيد، فعزله وصادر أمواله وسجنه ثم قامت دولة المجاهد، وتولى القضاء الأكبر مدة يسيرة في أول دولة المجاهد، ولم تزل تتطور به الأحوال، ولربما كان الحكام يرهبونه حتى في النهاية قتل

صبراً في صفر سنة ٧٢٩هـ.

١٤ـ الوزير موفق الدين اليحيوي اليافعي :

الوزير موفق الدين أبو محمد عبدالله بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي اليافعي ، كان فقيهاً ، نبيهاً ، عاقلاً ، كاملاً ، ديناً ، جواداً ، فصيحاً ، خطاطاً ، كامل الأوصاف ، جمع له المجاهد بين الوزارة وقضاء الأقضية .

ولما عزم المجاهد للحج سنة ٧٥١هـ جعله مقدماً في تعز وأعمالها ، وندب معه قطعة من العسكر وجعل الطواشي أهيف نائباً في حصن تعز ، والطواشي بارع نائباً في حصن أرباب ، فلما لزم المصريون المجاهد وساروا به إلى الديار المصرية ، وقع في اليمن اضطراب شديد ، وكان الوزير إذ ذاك بجنبله ، فنزل إلى تعز واجتمع بالطواشي أهيف في حصن تعز ، ونزل الطواشي بارع أيضاً من أرباب يريد تعز ، فلما صار الجند كتب إليه : أتلمني! ما سبب نزولك عن عهدتك وما مرادك بجمع العسكر؟ فلم يجد عذراً يقيمه غير الوزير ، فكتب إلى أهيف أن الوزير كتب إليّ بأن أصل بعسكر الجبل فوصلت بهم ، فإن تأمرني بالوصول وصلت

وإن تأمرني بالرجوع رجعت، ولم يكن الوزير كتب إليه بشيء من ذلك وإنما جعله عذراً، فرسم الطواشي أهيف على الوزير وحبسه عنده في الحصن، ثم قبض على أمير الحصن وهو علي بن محمد القاهري وكاتبه ونقيبه وحبسهم، فلما علم الطواشي بارع بما اتفق للوزير والجماعة سرى مع الجند ليلاً وأصبح في المجاهدية بتعز متجوراً، فأمر أهيف من لزمه من محراب المدرسة وأطلعه الحصن وقابل بينه وبين الوزير، فقال الوزير للطواشي بارع: إن كنت كتبت إليك كما تزعم فأوقفني على خطي، فقال: وأين أجد كتابك الساعة، وقد أخذ جميع ما عندي؟ فقيدهما أهيف ثم شنقهما في الثامن والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢هـ.

١٥ـ محمد بن أحمد بن عزان اليافعي:

كان فقيهاً، عارفاً، خيراً، ديناً، وهو أحد شيوخ أبي الخير الحضرمي، أخذ عنه الفائق في الوعظ بأخذه له عن أبي قيصر الظفاري عن القلعي، ولم أقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان موجوداً في هذه المائة[1]، أي آخر المائة السابعة.

---

(١) نقلاً عن العلامة بامخرمة في قلادة النحر.

ومن الصفات التي أطلقها عليه نستدل على مكانته العلمية بين الأعلام الذين تضلعوا بالعلوم ونشروها .

١٦ـ أحمد بن عبدالله بلعيس اليافعي :

أكثر اشتغاله على شيخنا جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، قرأ عليه كثيراً من كتب الفقه والحديث وغير ذلك، وقرأ على شيخنا الوالد في الحساب والفرائض، وكان ذكياً، لبيباً ،حسن الأخلاق، لطيف المعاشرة .

ولما ابتنى الشريف علي بن سفيان مدرسته بعدن رتب فيها[1] مدرساً في الفقه والحديث، وكانت له نغمة حسنة، وراحلة مليحة[2] في قراءة الحديث، وكان يقرأ الحديث بدار السعادة بحضرة المجاهد علي بن طاهر، وكان يقرأ الحديث، بعد صلاة الجمعة على كرسي لزق بالمقصورة، وكان المجاهد علي بن طاهر إذا فرغ من صلاة الجمعة أقام بالمقصورة يستمع الحديث، وربما أقام إلى صلاة العصر .

---

(١) أي جعل المترجم له .
(٢) أي تلحين حسن .

وحج رحمه الله فأخذ بمكة عن علي بن عطيف وغيره .

وأرسله المجاهد علي بن طاهر إلى المجاهد بن سعد الدين مراراً بهدية من الخيل المسرجة وغيرها ، ثم أرسله المنصور عبدالوهاب بن داود بعد عمه إلى المجاهد بن سعد الدين فأجزل له وحصل بسبب ذلك . . .[١] .

وكان لديه كتب كثيرة ، وكان يبذلها لمن أراد إعارتها ، وقرأ عليه جمع من الطلبة وانتفعوا به ، ثم ركن إلى البطالة ومجالسة أهل الدنيا .

ولما ثارت الفتنة بين الظافر عامر بن عبدالوهاب وأخواله يافع مع عبدالله بن عامر رفع عنه إلى الشيخ محمد بن عبدالملك أنه تكلم على الدولة بما لا يليق ، فأمر بإخراجه من عدن ، فأخرج منها على وجه قبيح ، ثم شفع فيه شيخنا جمال الدين محمد بن أحمد أبو الفضل فأذن له بالدخول على أن يلزم بيته ويترك الفضول ، ولم يزل مقيماً في عدن إلى أن توفي بها في شهر ذي الحجة سنة ٩١٠هـ[٢] .

---

(١) بياض في الأصل ، لعله «ثروة طائلة» .

(٢) قلادة النحر .

١٧ـ عثمان بن محمد عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوي :

تفقه بفقهاء تعز ، وكان فقيهاً ، عارفاً ، ودرس في مدرسة السلطان ، وصودر هو وإخوانه أسعد وإبراهيم ، ولما منَّ الله عليهم بالإطلاق عاد إلى ذي السفال وهي أصل سكنه ، وابتنى مسجداً في قرية الوحص بالقرب من مسكنه ، فلما اضطرب اليمن بعد موت المؤيد عاد إلى سكنه بتعز ، واستعاد تدريس المدرسة المذكورة ، ولما خالف أهل صبر في سنة ٧٢٣هـ رجع إلى ذي السفال في هذه العشرين ، والله سبحانه وتعالى أعلم[١] .

ويحتمل أن يكون أخاً لأحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليافعي والد محمد بن أحمد المذكور .

١٨ـ مبرح بن شهاب بن الحارث بن زيد بن ربيعة بن سحيت بن شرحبيل اليافعي .

«ذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، وهو معروف في أهل مصر ، وليست له رواية نعلمها ، وخطته بالجيزة .

وأخوه برح بن شهاب ، شهد فتح مصر أيضاً ، وليست له

---

(١) قلادة النحر .

صحبة، وهما معروفان»[١] .

وهو أحد القادة اليافعيين في جيش عمرو بن العاص، وكذا حسان بن زياد اليافعي، وقد ذكرناه في كتابنا رحلة إلى يافع فليراجع[٢] .

١٩ـ نور الدين علي بن صبر اليافعي الشافعي :

ذكره السيد العيدروس في كتابه النور السافر في المتوفين عام ٩٨٧هـ فقال : توفي الفقيه الفاضل الصالح نور الدين علي بن صبر اليافعي الشافعي .

وحكي أنه كان قصد الوزير الفخان في آخر الأيام إلى قوارير، وكان عند الوزير المذكور جماعة من الأشراف آل باعلوي وغيرهم، فلما رأوا إقبال الوزير عليه حسدوه وتكلموا فيه عنده حتى أعرض عنه، فرأى بعض أولئك الأشراف جده القطب الفقيه محمد بن علي وهو يعاتبه من أجله ويقول : إن هذا الرجل يحبنا وأنت تتكلم عليه، أو نحو ذلك[١] . انتهى .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : ٣/ ٣٣٩ .
(٢) انظر رحلة إلى يافع : ٣٧ .
(٣) النور السافر : ٣٣٩ .

٢٠ـ الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي :

في كتابي رحلة إلى يافع ذكرت ترجمة مختصرة للشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي ، وأحببت أن أسجل ترجمته الضافية من كتاب «العقد الثمين» مع بعض أشعاره حسبما يقتضيه المقام :

هو عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ، نزيل مكة ، وشيخ الحرم ، يلقب بعفيف الدين ، ويكنى بأبي السيادة .

ولد سنة ٦٩٨هـ تقريباً ، وحج وقد بلغ في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، ثم عاد إلى اليمن ، ورجع منها إلى مكة سنة ٧١٨هـ على ما ذكر ، وسمع بها بقراءته غالباً على الشيخ رضي الدين الطبري الكتب الستة خلا سنن ابن ماجة ، ومسند الدارمي ، ومسند الشافعي ، وصحيح ابن حبان ، والسيرة لابن إسحاق ، والعوارف للسهروردي ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، وعدة أجزاء .

وعلى القاضي نجم الدين الطبري قاضي مكة مسند الشافعي ، وفضائل القرآن لأبي عُبيد ، وتاريخ مكة

للأزرقي، وغير ذلك، وبحث عليه الحاوي الصغير في الفقه، والتنبيه.

قال: وكان يقول في حال قراءتي للحاوي: استفدت معك أكثر مما استفدت معي، قال: ويقول لي: قد أقرأت هذا الكتاب مراراً ما فهمته مثل هذه المرة، ولما فرغت من قراءته قال في جماعة حاضرين: اشهدوا على أنه شيخي فيه، وجاءني إلى مكاني في ابتداء قراءتي عليه، لأقرأه عليه. كل ذلك من التواضع، وحسن الاعتقاد، والمحبة في الله والوداد. انتهى.

وكان عارفاً بالفقه، والأصولين، والعربية، والفرائض، والحساب، وغير ذلك من فنون العلم، وله نظم كثير دون فيه ديوان في نحو عشرة كراريس كبار وتواليف في فنون العلم منها:

١- المرهم في أصول الدين.

٢- قصيدة نحو ثلاثة آلاف بيت في العربية وغيرها، وذكر أنها تشمل على قريب من عشرين علماً، وبعض هذه العلوم متداخل كالتصريف مع النحو، والقوافي مع

العروض، ونحو ذلك.

٣- كتاب في التاريخ، بدأ فيه من أول الهجرة.

٤- في أخبار الصالحين، ويسمى «روض الرياحين» وذيَّل عليه بذيل يحتوي على مائتي حكاية.

٥- كتاب سماه الإرشاد والتطريز.

٦- الدرة المستحسنة في تكرار العمرة في السنة، وغير ذلك.

وكان كثير العبادة والورع، وافر الصلاح والبركة، والإيثار للفقراء، والانقباض عن أهل الدنيا، مع إنكاره عليهم، ولذلك نالته ألسنتهم، ونسبوه إلى حب الظهور، وتطرقوا للكلام فيه بسبب مقالة قالها، وهي قوله من قصيدة:

فيا ليلة فيها السعادة والمنى
لقد صغرت في جنبها ليلة القدر

حتى أن الضياء الحموي كفَّره بذلك، وأبى ذلك غير واحد من علماء عصره، وذكروا لذلك مخرجاً في التأويل لا

يحضرني الآن، وأخذ عليه في كلمات وقعت منه تقتضي تعظيمه لأمره.

وسمعت والدي يقول: كنت أصحح في منهاج البيضاوي على القاضي أبي الفضل النُوَيْري، فسافر للمدينة النبوية فأتيت إلى الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي لأصحح عليه، وناولته الكتاب، ففتحه وقال: اقرأ تقدّس من تمجّد بالعظمة والجلال، فقلت: إنما أقرأ من كتاب القياس؛ لأنني صححت من أوله إليه على القاضي أبي الفضل، قال: فرمى بالكتاب في صدري، وقال لي: نحن على الفضلة؟ فانصرفت عنه.

وكان القاضي شهاب الدين أحمد بن ظَهيرة يحضر مجلسه لسماع الحديث، فانجرّ الكلام إلى مسألة من مسائل التمتع في الحج، فاختلف فيها رأيه ورأي الشيخ عبدالله اليافعي، فرأى بعضُ الناس في النوم أنهما تصارعا وأن اليافعي علا على ابن ظهيرة، فكان اليافعي يأمر الرائي بذكر رؤياه إذا كثر الناس عنده للسماع والزيارة، ويقول: هذه الرؤيا تأيد قولنا.

ويقول ابن ظهيرة: نخالفه في تأويله، إن المغلوب هو الغالب، وينسب ذلك لأهل التعبير، ويقول: إن ما قاله موافق لما في الرافعي والنَوَاويّ، وإن ما قاله اليافعي لقول بعض الأئمة الشافعية.

وقد رغب الضياء الحموي في الاجتماع بالشيخ عبدالله اليافعي والاستغفار في حقه، فأبى الشيخ إلا بشرط أن يطلع الضياء إلى المنبر في يوم الجمعة وقت الخطبة، ويعترف بالخطأ فيما نسبه لليافعي.

ومن أحوال اليافعي السنية أن أهل المسفلة والمعلاة حصلت بينهم فتنة كبيرة، وظهر لأهل المسفلة من أنفسهم العجز، فقصدوا اليافعي وسألوه أن يدخل لهم على أهل المعلاة؛ ليكفوا عن قتالهم، ففعل اليافعي ذلك، فلم يقبل أهل المعلاة شفاعته، وبادروا لحرب أهل المسفلة، فغلب أهل المسفلة أهل المعلاة، وقتل من أهل المعلاة طائفة.

وقد ذكره غير واحد من العلماء، وأثنوا عليه كثيراً، منهم الإمام بدر الدين حسن بن حبيب أديب حلب، لأنه

ذكره في تاريخه[١] فقال :

«إمامٌ، علمه يقتبس، وبركته تلتمس، وبهديه يقتدى، ومن فضله يجتذى، كان فريداً في العلم والعمل، مصروفاً إليه وجه الأمل، ذو ورع بسقت غروسه، وزهر أشرقت شموسه، وتعبد يعرفه أهل الحجى، وتهجد تشهد به نجوم الدجى، وتأليف وجمع ونظم يطرب السمع، وفوائد يرحل إليها، وكرامات يعول في المهمات عليها، ومصنفات في الأصول والعربية والتصوف، ومناقب يَتَشَوّف إلى سماعها العارفون أي تشوّف، أقام بمكة المعظم قدرها، ولازم الطواف بكعبتها المقدس حَجَرُها وحجْرُها، مقصوداً بالزيارة، مسموع النصيحة، مقبول الإشارة، وهو إمام، مفت، متفنن، عالم وشيخه في الطريقة الشيخ علي المعروف بالطواشي، وصنف في أنواع العلوم، سيما علم التصوف، وله قصائد كثيرة نبوية» . انتهى .

وذكره الشيخ جمال الدين الأسنائي في طبقاته[٢]، وذكر

---

(١) درة الأسلاك : لوحة ٤٤٤ ، نقله عنه صاحب العقد الثمين عند ترجمته له .

(٢) انظر طبقات الشافعية ، للأسنوي : ٢/ ٥٧٩ ، والنص منقول عن صاحب العقد الثمين .

من حاله ما لم يذكره غيره ، ولذلك رأيت أن أذكره ؛ لأنه قال في طبقاته بعد أن ترجمه بما يأتي ذكره وأكثر منه :

«تم الكتاب مختتماً بهذا القانت الأواب ، وقال : فُضْل مكة وفاضلها ، وعالم الأبطح وعاملها» .

وقال : «كان إماماً يسترشد بعلومه ويُقتدى ، وعلماً يُستضاء بأنواره ويهتدى .

ولد قبل السبعمائة ، وبلغ الاحتلام سنة إحدى عشرة ، وكان في ذلك السن ملازماً لبيته ، تاركاً لما يشتغل به الأطفال من اللعب .

فلما رأى والده آثار الفلاح عليه ظاهرة بعث به إلى عدن فقرأ بها القرآن ، واشتغل بالعلم ، وحج الفرض سنة اثنتي عشرة ، وعاد إلى بلاده ، وحبب الله إليه الخلوة والانقطاع والسياحة في الجبال ، وصحب شيخه علياً المعروف بالطواشي ، وهو الذي سلكه الطريق . . . ثم عاد إلى مكة سنة ثمان عشرة ، وجاور بها ، وتزوج . . . وأقام بها مدة ملازماً للعلم ، ثم ترك التزويج ، وتجرد نحو عشر سنين ، وتردد في تلك المدة بين الحرمين الشريفين ، ورحل إلى الشام

سنة أربع وثلاثين، وزار القدس والخليل، وأقام بالخليل نحو مائة يوم، ثم قصد الديار المصرية في تلك السنة مُخفياً أمره، فزار الإمام الشافعي، وغيره من المشاهد، وكان أكثر إقامته في القرافة في مشهد ذي النون المصري، ثم حضر عند الشيخ حسين في مجلس وعظه، وعند الشيخ عبدالله المنوفي بالصالحية، وعند الحراوي بسعيد السعداء وكان إذ ذاك شيخها . . . وزار الشيخ محمد المُرشدي بُمنية ابن مُرشد من الوجه البحري وبشَّره بأمور، ثم قصد الوجه القبلي فسافر إلى الصعيد الأعلى، ثم عاد إلى الحجاز، وجاور بالمدينة مدة، ثم عاد إلى مكة، وتزوج وأولد عدة أولاد، ثم سافر إلى اليمن سنة ثمان وثلاثين لزيارة شيخه علي الطواشي، ومع هذه الأسفار لم تفته حجة في هذه السنين . . . ثم عاد إلى مكة، وأنشد بلسان الحال:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر

وعكف على التصنيف والإقراء والإسماع، وصنف تصانيف كثيرة في أنواع العلوم . . . وكان كثير الإيثار

والصدقة مع الاحتياج، متواضعاً مع الفقراء، مترفعاً على أبناء الدنيا معرضاً عما في أيديهم، نحيفاً، ربعة من الرجال...

وذكر أنه توفي ليلة الأحد المسفر صباحها على العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة بجوار الفضيل بن عياض، وبيعت حوائجه الحقيرة بأغلى الأثمان، بيع له مئزر عتيق بثلاثمائة درهم، وطاقية بمائة، وقس على ذلك.

ومن شعره:

ألا أيها المغرور جهلاً بعزلتي
عن الناس ظناً أن ذاك صلاح
تيقن بأني حارس شر كلبة
أقول لها في المسلمين نباح
ونادِ بنادي القوم باللوم مُعلناً
على يافعي ما عليك جناح

ومن شعره من قصيدة :

أيرجى البقا ما بين سلع وحاجز
وبيض النقا ترمي بسود المحاجر
حذاراً حذاراً يا خلياً عن الهوى
تجوّز بذياك الحمى غير حاذر
فما جاز ربع العامرية خاطر
ولا دار مي قط غير مخاطر

وله أيضاً :

يا غائباً وهو في قلبي يشاهده
ما غاب من لم يزل في القلب مشهوداً
إن فات عيني من رؤياك حظهما
فالقلب قد نال حظاً منه محموداً

وله أيضاً :

قفا حَدِّثاني فالفؤاد عليل
عسى منه يشفي بالحديث غليل

أحاديث نجد عللاني بذكرها
فقلبي إلى نجد أراه يميل

بتذكار سعدى أسعداني فليس لي
إلى الصبر عنها والسُلو سبيل

ولا تذكرا لي العامرية إنها
يُوله عقلي ذكرها ويزيل

ولكن بذكري عرِّضاً عندها فإن
تقل كيف هو؟ قولا: بذاك عليل

فإن تعطفي يشفي وإن تتلفي ففي
هواك المعنى المستهام قتيل

ومنها:

فلما توادعنا بوادي النقا وقد
علانا على بعد اللقاء عويل

بدا برد قد عض عُنَّاب سندس
وفي الورد دُرُّ البحر صار يسيل

ومنها:

فـإن لا أمت منهـا قـتـيـلاً فـإنني
لمن حل في وادي العـقـيق قـتـيل
إلى كم على ليلى وسعدى وفي النَّقا
ونجـد ونعـمـان هواي أجـيل»(١)

٢١ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المكي الملقب بالزين:

ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بمكة، وسمع بها من أبيه وغيره، وبدمشق من ابن أميله، وبالقاهرة من الشيخ عبد الله بن خليل المكي وغيره، وحفظ «الحاوي الصغير»، واشتغل بالعلم بذكاء مفرط، فحصَّل كثيراً، وله شعر حسن، ثم تزهد وصحب الصالحين ببلاد كثيرة، وانقطع إليهم، وعظم قدره واشتهر أمره، وكان أبوه على ما بلغني ينوه بذكره، وتوفي على قدم التجريد في أثناء سنة سبع وتسعين وسبعمائة هجرية ببلاد الجزيرة برحبة مالك بن طوق فيما بلغني في تاريخ وفاته ومحلها، والله أعلم.

---

(١) انظر العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ٥/ ١٠٤، رقم الترجمة (١٤٨٦).

وله شعر حسن منه :

آلا إن مـــرآة الشـــهـــود إذا انجلت
أرتك تلاشي الصدّ والبعد والقرب
وصـانت فـؤاد الصّبّ عن ألـم الأسى
وعن ذلة الشكوى وعـن منة الكتب

وله :

وكنـت أرى أن الوداد إذا انتـــــهى
إلى حـده أغنى المشـوق عن الطِّرس
وأن صـلات الغيب يُحـزى نعيـمـهـا
إذا صـفت الأسـرارُ عن صلـة الحس
إلى أن بدا لي أن للحـسـن شـــاهداً
يؤمل أن لو نال ســهــمــاً من الأنس
فـرحت إلى سطر الرسـائل راغـبـاً
أجلُّك عن قـولي كـتبت إلى نفـسي
وســرى يا بحــر العلى مـــتنعم
لديك وسُفُن الوَجْدِ ما برحت تُرسي

وَرُبَّ مـحب أنعـشـتـه رسـائل
أتته عن الأحباب من حضرة القدس
ويعـجـز عن رَدِّ الجـواب وإنَّه
لأشـوق من قـيس وأفـصح من قُس

وله قصائد مطولة منها قوله:

أصـامـتـة الخلخـال نـاطقـة الشنف
أما آن أن أبدي من الوجد ما أخـفي
علـمت بـأنـي لـست أول عـاشق
دنا فـخـفي أو آثر البـعـدَ فاستُصـفي
وأنـي أخـتـار البِعـاد عن الجـفـا
وبـرق الـثـنـايـا عـن ورود بلا رشـف

ومن شعره القصيدة المطولة في مدح الرسول ﷺ منها:
ألا في سبـيل الســالكين إلى العلا
يلـذ لهـذا القـلب ما يتحمـل

ومنها:

وهذا محل السعد واليمن والبها
وأشرف مغنىً في العوالم يُنزَل

ومهبط وحي الله والحضرة التي
ذُرى العرش من أنوارها يتجمل[1]

والمترجم له هو الذي زار حضرموت مراراً، وله في أول زيارة له قوله:

مررت بوادي حضرموت مسلماً
فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا

وألفيت فيه من جهابذة العلا
أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

وكان يزور الشحر ويمكث بها طويلاً، وبنى بها مسجداً يسمى اليوم بقبة آل بامزروع.

وهذه المدينة قلَّ من يمر بها فلا تستهويه نظراً لطيب هواها وحسن أخلاق أهلها، وما أسرع ما ينجذب إليها الزائر، فإذا

(١) نكتفي بهذا القدر من ترجمته وأشعاره، انظر العقد الثمين: ٥/ ٣٦٤.

فارقها حنَّ إليها واشتاق إلى مجالسها ومآثرها وهام بحبها وسجل خواطره في أشعار وجدانية، وكم لسعاد من عشاق، حماها الله وحفظها وأهلها، وبارك فيها وفي ساكنيها[١].

٢٢ ـ عبدالوهاب بن عبدالله بن أسعد:

«عبدالوهاب بن عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي المكي، تاج الدين ابن الشيخ عفيف الدين، اشتغل بالفقه، وأذن له شيخنا الأبناسي، ودرس بالحرم.

مات في رجب عن خمس وخمسين سنة؛ لأنه ولد سنة ثمان وخمسين وسبعمائة[٢] بمكة.

---

(١) وكم لنا فيها من ذكريات وأحباء وأصدقاء، ولا أزال أذكر عبدالله شامي الفقيه العابد، والسيد أحمد بن إسماعيل المجذوب العابد الصائم القائم، وأذكر رمضان باقنانة الطالب الذكي سريع الحفظ، والوالد نصر بن قاسم السعدي وزوجته الفاضلة التي اعتبرتني ابنها الثاني، وعشنا وابنها أحمد رحمه الله لا يذكر اسمي إلا بالأخ وأنا كذلك، رحمهم الله، وكذا قمر الأخت الفاضلة أطال الله عمرها، وكم لنا من أصدقاء وأحباء، وبالرغم من إقامتي بالمكلا فإن حبي للشحر وأهلها لا حد له، وعند ما ألتقي بمجموعة من شباب الشحر في مهجري بجدة تعود بي الذكريات إلى تلك الأيام المشرفة، حفظ الله أبناء سعاد ورعاهم وبارك فيهم إنه على ذلك قدير، والمستقبل لسعاد بإذن رب العباد، وما بين ضبة وضبضب سترى العجب.. عمران متصل واتحاد غير منفصل.

(٢) في الضوء اللامع سنة خمسين وسبعمائة.

وسمع من أبيه وجماعة بمكة، ورحل إلى دمشق فسمع من أبي أميلة وغيره، وتفقه بالأميوطي وغيره.

وكان خيِّراً، عابداً، ورعاً، قليل الكلام فيما لا يعنيه، أمَّ في مقام إبراهيم نيابة. اجتمعت به وسمعت كلامه(١).

وقول الشيخ: إن المترجم له مات في رجب عن خمس وخمسين سنة لأنه ولد في سنة ٧٥٠هـ.. إلخ تفسير؛ لأن المترجم له مذكور في وفيات عام ٨٠٥هـ، وبه تصح العبارة. انتهى.

٢٣ـ عبدالرحمن بن عبدالوهاب:

عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن عبدالله بن أسعد اليافعي، زين الدين، أبو النجيب، ابن الشيخ تاج الدين، ابن الشيخ عفيف الدين المكي.

ولد في سنة ثمانمائة أو في أول التي قبلها أو في أول التي بعدها.

حفظ القرآن العظيم، و«المنهاج» في الفقه وغيره، وعني

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٥/ ١٠٥.

بالأدب والشعر، ونظر في دواوينه ففهم، وحفظ أشياء حسنة، ونظم الشعر، ونثر.

وفيه كياسة ومروءة، وحسن معاشرة، ومذاكرة، وتردد إلى اليمن والشحر طلباً للرزق، ودخل مصر.

وتوفي في سحر يوم الأربعاء الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة، وصُلِّي عليه بالمسجد الحرام عند باب الكعبة المعظمة، ودفن في ضحوة اليوم المذكور بالمعلاة، في قبر جده الشيخ عبدالله اليافعي(١).

***

لم تقتصر الفضائل ومكارم الأخلاق والعلوم على الرجال فقط، فقد دخل التاريخ من أوسع أبوابه بعض الفاضلات من بنات يافع، ومنهن:

٢٤- أم المساكين زينب بنت عبدالله بن أسعد:

أم المساكين، ابنة عفيف الدين اليافعي اليماني ثم المكي، فاضلة، عارفة بالحديث، ولدت بالمدينة سنة ٧٦٨هـ، وتوفيت بمكة سنة ٨٤٦هـ.

---

(١) العقد الثمين: ٥/ ٣٨٤ - ٣٨٥.

خرَّج لها نجم الدين بن فهد «مشيخة» كانت تحدث بها وبغيرها[١].

٢٥ـ أم الحسين بنت عبدالرحمن بن عبدالله :

أم الحسين بنت الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المكية، أمها خالتي زينب بنت القاضي أبي الفضل النُّوْيري، وطلق أبوها أمَّها وهي حامل بها، وولدت بعد ذلك بأشهر.

وعلمتها والدتها الكتابة وسوراً من القرآن، وحفظت الأربعين النووية وعرضتها.

وتزوجها في سنة تسع وثمانمائة الشريف أبو حامد بن الشريف عبدالرحمن الفاسي وولدت له ابناً يسمى يحيى، ومات عنها في خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وتزوجها بعد انقضاء عدتها بليلة أوليلتين القاضي محب الدين أحمد بن القاضي جمال الدين بن ظهيرة فمال إليها، وكانت تحته كمالية بنت الشريف عبدالرحمن الفاسي فلقي منها تعباً كثيراً ثم طلَّق كمالية، وماتت أم الحسين بعد

(١) كتاب الجامع : ٢/ ٤٨٩ .

طلاقها بشهرين ونصف في رابع عشر ذي الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، سقط عليها حائط بمنزلها والسقف وفازت بالشهادة، ومات معها تحت الهدم ابنها أبو حامد محمد، ولد القاضي محب الدين، وكثر أسفه عليها(١).

٢٦ـ أم الخير بنت عبد الوهاب بن عبد الله:

أم الخير بنت الشيخ عبدالوهاب بن الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي، أمها زينب بنت أبي الخير بن أبي عبد الله الشريف الفاسي.

ولدت سنة ٧٧٨هـ، وتوفيت سنة ٨٢٣ بمكة، ودفنت بالمعلاة.

وقد ترجم لها - ولغيرها من حفيدات الشيخ عبدالله وأبنائه من فضليات النساء - تقيُّ الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي في كتابه العقد الثمين(٢).

ويدلنا هذا على أن الجالية اليافعية من أبناء شيخ الحرم قد دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، فأولاده وأحفاده وأحفاد

---

(١) العقد الثمين: ٨/ ٣٣٣.

(٢) انظر ترجمتها في العقد الثمين: ٨/ ٣٣٩.

أحفاده من رجال ونساء كانت لهم مكانة مرموقة في مكة وغيرها في الجزيرة والشام ومصر وحضرموت واليمن، ولكن اليافعي لم يعرف عنهم إلا القليل والقليل جداً، وأم الخير هذه هي واحدة من هذه الأسرة المباركة.

٢٧ـ عبدالملك بن محمد بن ميسرة اليافعي:

راجع ترجمته في كتابنا رحلة إلى يافع.

٢٨ـ محمد بن عيسى اليافعي:

محمد بن عيسى اليافعي الفقيه الشافعي قاضي عدن، كان فاضلاً، خيِّراً، وهو والد صاحبنا الفقيه عمر قاضي عدن أيضاً[1].

٢٩ـ محمد بن عبدالملك العياشي اليافعي الحميري:

أبو عبدالله، المعروف بابن العياشي، حاسب، كاتب، له اشتغال بالتاريخ، من أهل مكناسة (المغرب الأقصى).

كان من كتاب السلطان إسماعيل ابن الشريف، ومن مستشاريه، وقتله المولى أحمد الذهبي بن إسماعيل صلباً.

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر: ١/ ٦٨.

له «زهرة البستان في أحوال المولى زيدان بن إسماعيل» وكانت وفاة المترجم له عام ١١٣٩هـ[1].

٣٠ـ أحمد بن محمد بن عبيدالله الحسن بن عياش:

أبو عبدالله المعروف بالجواهري اليافعي، إمامي[2]، من أهل بغداد، اختل في آخر عمره. من كتبه:

١ـ أخبار ابن هاشم الجعفري.

٢ـ أخبار جابر الجعفي.

٣ـ الأشتال على معرفة الرجال.

٤ـ أخبار السيد «يعنى الحميري».

٥ـ اللؤلؤ وصنعته وأنواعه.

٦ـ مقتضب الأثر في الأئمة الاثنى عشر.

وله اشتغال بالحديث، حسب رواية الزركلي: ليس بثقة فيه، توفي عام ٤٠١هـ، ١٠١١م[3].

---

(١) كتاب الجامع: ٣/ ٣٧٧.
(٢) أي من الطائفة الإمامية الاثنى عشرية.
(٣) كتاب الجامع: ١/ ١٣٢.

٣١ـ عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي :

أبو سالم، المعروف بأبي سالم العياشي، نسبة إلى يافع الذين اندمجوا في البربر، من أهل فاس، قام برحلة دوَّنها في كتابه «الرحلة العياشية» في مجلدين، سماها «ماء الموائد :

ومن كتبه :

١- إظهار المنة على المبشرين بالجنة .

٢- مسالك الهداية، بأسانيد شيوخه .

٣- تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء .

٤- منظومة في البيوع وشرحها .

٥- تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية .

ولحفيده محمد بن حمزة أبي سالم كتاب سماه «الزهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم»، من مواليد عام ١٠٣٧هـ، توفي عام ١٠٩٠هـ، الموافق ١٦٢٧ -١٦٧٩م[1].

***

(١) كتاب الجامع : ٢/ ٧٥٥ .

إلى هنا ندع القلم يستريح إلى حين، وأرجو من الله أن يمد في العمر ويمتعني بالسمع والبصر والقوة لأواصل البحث.

وقد يقول البعض: لم تخص يافع بالبحث وغيرهم لهم تاريخ؟ والجواب: إنني لم أخص يافع بالبحث فقط، فقد ألفت كتاباً يخص قبائل حضرموت[١]، على أمل أن تتاح الفرصة لأواصل البحث في قبائل عربية حضرمية وغيرها لها تاريخ، ولكن أين المساعد؟ وأين المصادر؟

لقد قلت في كلمة سابقة: لو رصد الموسرون جزءاً بسيطاً من تجاراتهم ولو واحداً في الألف لشراء ونقل المصادر أينما كانت مخطوطة أو مطبوعة، وساهموا في طبع إنتاج المؤلفين لخلدوا أسماءهم ولقدموا للمكتبة العربية أنواعاً من التاريخ المجهول.

إنني أسجل شكري وثنائي الغامر لفضيلة الشيخ سعيد بن علي بامخرمة الذي أمدني بالمعلومات والمصادر، وليس غريباً منه بل الفضل فهو من أهله، وله سلف صالح في

---

(١) وقد صدر عن دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع بجدة.

العلوم والإفادة، فجزاه الله عني خيراً.

وبعد فإذا ساعدني الحظ فإني سأتبع هذا البحث بفكرة عن مؤسس الدولة القعيطية وأبنائه محمد وعوض وعبدالله وصالح، مع العلم أنني قد كنت شرعت في تأليف تاريخ للدولة القعيطية وآخر لحضرموت، وإذا وجدت المواد المساعدة فسوف أبلغ غاية جهدي، والله الموفق، وهو الهادي إلى أقوم طريق.

القسم الثالث

أشعار يافعية

أشعار يافعية

في عام ١١١٢هـ إلى عام ١١١٩هـ جرت أحداث وحروب بين يافع والأئمة انتهت بالنصر ليافع بقيادة السلاطين آل عفيف وآل الشيخ علي هرهرة، واتفق معهم في حلفٍ سلاطينُ البيضاء والعوالق والفضل.

هذه الأحداث والحروب لم تذكر بالرغم من أن المؤرخ اليمني كان يذكر تاريخ الأئمة ويافع بأشنع الألفاظ، ولم نجد من تصدى لتاريخ هذه الحروب لا من يافع ولا من مؤرخي عدن وحضرموت إلا نتف مقتضبة، ولكن بعض الأشعار التي قيلت في هذا الشأن تعطينا صورة عن مواقف يافع الشجاعة والتي لم تلن قناتهم بالرغم من التفوق العسكري بالعدد والعدة، فلقد صبروا وصابروا، فيوم لهم ويوم عليهم إلى أن تم النصر ليافع، ولم يكتف أبناء يافع بجلاء جنود الأئمة من الجنوب حتى سارعوا لإنقاذ حضرموت وتم لهم النصر.

ومما ذكره أحد الشعراء عن هذه الحروب في شعره قوله :

قحطــان[1] ذي يشــبه عــلي في المهــــد

ذي لا خـــــرج فلا عـــــــاد يرتـــــــد

ظلــــت خيــــوله تحــــت قــاع الجنــــد

تشــــــهد لــه الزينـــــــات تشـــــــهد

وقال أيضاً :

أجـــــــدادكـــــم مــن قبــــلـكـم

ذي قـــد مـضـــوا بــاول زمـــــن

قــد أخـرجــــــوا الأزيـــــود والـ

أتــراك حمـــــــــران الوجـــــن

قـحـطــــــــان خـــــــذهـــا من الـ

مســـال إلى ســــاحــل عــــدن

(١) يقصد قحطان بن معوضة .

وقال أيضاً :

تعز خـــذناها وخـــذنا قعيطـــة

وإب والراحـــة ونجـد الجـاح

ويريم خـــذناها وخـــذنا مابهـــا

وأنتم بها وأمسى السمـــرا مبـــاح

وقال شاعر يافعي في حضرموت :

يابا ويابلوى على دور الحكَم

لَمَّا حُصُـــونه تبتنـــي بالعـــيْد بُوس

وأن ما لحقنا ماء عجناها بدم

وإن الحصى عاجـــز بنينـــاها بروس

ويافع لحج هم العبادلة ، كم لهم من جولات ومواقف وحروب ، حتى مع الغرب وحملاته المتوالية وإلى أن تمكن الاستعمار البريطاني من احتلال عدن لم تلن لهم قناة ، حتى في أحلك الأوقات .

وما دمنا قد ذكرنا أشعاراً فاه بها شعراء يافعيون باللهجة

الدارجة فقد اخترت ثلاثة شعراء من يافع، أحدهم وثانيهم من يافع الجبل، وثالثهم من يافع حضرموت.

١ـ السلطان عبدالله بن علي ابن الشيخ علي هرهرة اليافعي:

المذكور أرسل قصيدة في شهر الحجة سنة ١٣٣٤هـ إلى السلطان عبدالكريم فضل العبدلي السلامي الكلدي اليافعي،

إلهي سلك بالمختـــار تســمع
دعـا عبـدك وكن لـه حيثما كـان
وبادر مــثل لحظ العين وأســرع
تجليـهـا بفـضلك وأصلح الشــان
وصلوا ما القـمـر والشـمس تطلع
على النور المســمى نسل عــدنان
يقــول الهــرهري يا هاجس ابدع
وهات أبيــات بانشــرحــهـا الآن
رعـــود اتحطرمـــه والبـــرق يلمع
من الحوطة ومن صيرة وشمسان
ولاضــه مــيــازر وألف مــدفع
مـوج متـلاطمـة غـبـر وحـمـران

عــسى عــوده وذاك الـوقت يرجع
من الطنان لا الشـعلب وعـمـران
وتاك المحكمــة والخـيل تربع
وتاك البنقلة بالشـيخ عـثـمـان
ويا عــازم ســري والناس تهـجع
من الدرب المنيف فــوق همـدان
على عــاطحــجـبـه عــالي تمنع
حـلال أهل النكف شيبـة وشبـان
كــأنك بالمراحل صــقــر يسـفع
وسـيـفك بيـسـرك والرمح بيـمـان
ولاالســده مـقــفل دق وأقــرع
تحــصلهم شــوك هندي وأبان
وتوك لا عـــدن وأنشـــد توقع
علي ابن فـضل ذي قـامـوه سلطان
طلع صيـتـه على من قـبل وأفـرع
بكرمـه السـخـاء كم قـدم إحـسـان
وخـصـه بالســلام آلاف واجـمع
مـعـه الأعــمـام وأولاده وإخـوان

وقل خـالك يقـول الصـبـر واصنع

جـمـايل تحـفظ القـربة وجـيـران

وشـــفت أن الوسل يـرفع وينفع

كـمـا شـرع الدول خـزنة وخـزان

ولا أنتــو في جــزيرة باتوسع

وباتلقـــوا بهـــا دائر وحـــيطان

وبنديره مع بيــــرق ومــــرفع

وطاســـة والمزيكة ترهـب الجـــان

تعنوا قنعـــوا من كـــان يطمع

يشـوف الأرض مـشـعـولة بنيـران

يســافــر من بلدكم خـيــر يقنع

وعـــاد الكيس بالجنيـــان مـــلآن

ولا يأمن يـجي لـه ســـيل يردع

ويخـرج منهـــا جـــائع وعـــريان

بقــول الصــدق لاصــور ولا أقــرع

ونا بالمحـجـبــة من روس هـمــدان

وجــدي ذي عــبــر عــالناس يقطع

بصنعـــا لا المخـــالا أرض نجـــران

وبعـــد الفـــرق والفـــتنة ترفع
وباقـي من جبن لا قـــرب ردمـــان
ومـــا تجـــدد بيـــافع إليك يتـــبع
وخطك خـــتـــمـــه علمـــه وعـــوان
وخـــتم النظـم صلوا على المشـــفع
وآله والصـــحـــابة كل الأحـــيـــان

وأمـرني المولى المعـان أن أجـيب عليـه بهـذا الأسلوب فكتبت ما يأتي :

طـلـبـنـا الـلـه ذي يـنـزل ويـرفـع
وذي أن قـــال للمـــخلوق كن كـــان
وذي يرحـم وذي يخـــــزق ويرقع
وذي ينشي سـحـاب ترسل أمـزان
وصلى الله عـــدد مـــا البـــرق لعلع
عـلى طه نـبي الإنس والجـــــان
وبعـــده يا رســولي ســيـــر وأهرع
وشل الخط له من حـيـد شـمـسـان

وإن حصلت عبدالله توقع
وقل له بايقع للشوب صبان
وعاد الناس حد ينهب ويطمع
وحد داخل عدن يفتق عليمان
وحد سدوا طريقه أين يجزع
وحد سوى بضاعة له ودكان
ونايا خال لا هايب ولا فزع
فعلنا بكلنا واللي خفي بان
كفانا فخر لو قالوا لك اسمع
خبر حرب ابن محسن وابن عثمان
وإن عان الميهيمن قلت به قع
سجع فوق الكزابة قمري البان
وما شي عذر باروح وبارجع
قد الحوضة وسي للحكم ديوان
وجيش الترك بيحمل ويرفع
ويرجع ماويه مقطوع الآذان
وذي فاعل معه سكين يقطع
فمن قصر قصر من هون أهتان

تجــمل قل ليــافع عــيب تقنع

ومـدفـعنا يحـذي خلف سفـيـان

وخـصـمي مـا مـعـه شيء قـوم تبع

ولا ربك وهب له عـقل لقـمـان

وعــاد الشــمس باتشــرف وتطلع

وبايدفــا الذي في الحــيــد بردان

وعـــاد الطيـــر باتنهش وتشـــبع

ومن أجسام الهمـاشر ذي بالأطيان

وذي عـــادة يبـــا المنفـــوع ينفع

قـبل من مـيـفـعـة لا حـيـد ردفـان

بـدال الـواحــــــدة بايـدفـع أربـع

وحق اللـه مـــا ابنه بات ندمـــان

وشي جـــاكم خبر سبط المشفع[1]

ملك أم القـرى ذي قـام بالشـان

ملك مكة ومـــا جـــاور ومطلع

وصل لما المدينة يطفح الخـــان

---

(١) الملك الحسين بن علي رحمه الله .

وخــلا بقــعــة الأتراك بلقع
ونتلهم زونهم ذي بالاثبــان
وكسر كرسي القانون الاشنع
وقام الشرع سامصحف وقرآن
وذي عبره لهم تزجر وتردع
قضاها الله بين الخلق ميزان
فإن الله ما يطرد ويدفع
من البيت المحرم خيرة إنسان
وهب بعض العرب يحشد ويجمع
وحد يذكر شجونه بات حزنان
كما أن الهمشري كم ناس قرع
وقد حان القضا قاموا له الآن
وعلم الحرب مدفع بعد مدفع
ومركب بعد مركب وألف ربان
وذا يقع وذا يقرح ويصقع
وهذا قال شبه وازكيمان
وجيش الانكليز أين يجزع
جمعها من سيامه لا خراسان

وأهل الصين لفلفلهم ووزع
وجابوا سود من يم وسودان
وجابوا حمروا من شاف يفجع
يسيل الدم يوم الحرب وديان
وعاد الحرب باتصلي وتقرع
وبا يبصر لهبها من له أعيان
فلا بع صلح شيء مسهون يوقع
وعاد الجيش للشوفات رغبان
وتالي ما صفي باكتب وبا ارفع
إلى يافع إلى حمير وهمدان
تمهل لا تقع معجول فيسع
من استعجل ندم من صون اصتان
وصلى الله على أحمد ما تقعقع
رعود من السماء أوشنت أمزان
وآله كلهم والتابع اتبع
ومن لازم طريقتهم بإحسان

٢ـ يحيى بن عمر اليافعي :

«أبو معجب، شاعر شعبي غَزل، وهو ذو شهرة واسعة في اليمن والجزيرة العربية، من يافع حضرموت.

قضى فترة من حياته في صنعاء، ثم هاجر إلى الهند حيث زار حيدر أباد (الدَّكن) ومدراس وكلكتة، ثم عاد إلى ولاية بَرُوْدَة الهندية وكانت بها جالية كبيرة يمنية حضرمية يافعية (وعلى رأسهم الجمعدار سالم بن حسين الفضلي اليافعي الحضرمي) فاستقر بها وتزوج.

تذكر الروايات المحلية أنه عاش في القرن الحادي عشر الهجري.

بعض قصائده تغنى إلى اليوم مسجلة على إسطوانات وأشرطة، وشهرته على كل لسان في اليمن، توفي في ولاية بَرُوْدَة الهندية، وانقطع عقبه، لا يعرف بالضبط إلى أي من البطون اليافعية الحميرية ينتمي، إنما يقال أنه من آل الشيخ علي هرهرة.

شعره سلس وجذاب ورقيق، له ديوان شعر مخطوط،

اطلعت عليه مع المطرب العدني إبراهيم الماس»[١].

ذكر المترجم أنه من سكان حضرموت لكن الذي علمته أنه من مواليد يافع الجبل، ويحتمل أن يكون من مواليد اليمن الشمالي حيث توجد أسرة من آل الشيخ علي بها، وكونه قضى زهرة شبابه في صنعاء دليل على ذلك.

وقد علمت أيضاً أن بعض الشباب اليافعي أنشأ منتدى سموه نادي يحيى عمر، ولعلهم قد جمعوا شيئاً من أشعاره، والله أعلم.

وإني أشعر بالأسف حيث لا يوجد لدي الآن شيء من أشعاره.

٣ـ صلاح أحمد الأحمدي القعيطي:

الشاعر صلاح بن أحمد القعيطي الحضرمي اليافعي، شاعر حميني مشهور.

مولده ونشأته وتعليمه بمسقط رأسه في قرية العنين من منطقة القطن بوادي حضرموت.

هاجر في سن مبكرة إلى حيدر أباد الدكن، وزار

---

(١) انظر ترجمته في كتاب الجامع: ٤/ ٦٣٦.

حضرموت في سنة ١٣٢٣هـ، ثم عاد إلى المهجر، له قصائد حمينية مشهورة بين الحضارم في حضرموت والمهاجر تعالج الشئون السياسية بحضرموت وأحوال المهاجرين اليمنيين الاجتماعية بالهند، وأشهرها قصيدته التي مطلعها :

أبديت بك وأدعوك يا جيد وغيرك ما يجود

يا حي يا قيوم يا مطلق من الساق القيود[1]

توفي بحيدر أباد الدكن بالهند عن عمر ينيف على المائة، وله ديوان شعر كبير ضخم مخطوط .

الشيخ صلاح الأحمدي مشهور ومذكور في حضرموت وغيرها، وقد اتفق ثلاثة شعراء بحيدر أباد الدكن على إنشاء قصائد نقدية ونشرها هناك بتوقيع الفرزدق، وقد علم أن الشيخ صلاح أحمد هو المشهور من الثلاثة .

وقد كان السيد حامد المحضار يحفظ الكثير من هذه

---

(١) سأنقلها بإذن الله مع الرد عليها من مجهول مع الرد على المجهول، مع تعليق السيد حامد المحضار، إذ أن فيها من ساهموا أو غضوا الطرف عن معاهدة الاستشارة التي أبرمها السلطان صالح القعيطي مع الانكليز سنة ١٩٣٧م، والمعاهدة الاستشارية التي أبرمها سنة ١٩٣٩م السلطان جعفر بن منصور الكثيري مع الإنكليز .

الأشعار حتى قيل أنه أحد الثلاثة، وابن شهاب الشاعر المعروف يقاله إنه أحد الثلاثة الذين ينسبون إليهم أشعارهم النقدية اللاذعة، وكان العرب في الدكن يحفظون الكثير منها[١].

ووفاء بالوعد إليك أيها القارئ القصائد الثلاث مع تعليق العلامة الفقيه الشاعر السياسي السيد حامد المحضار.

وبعد، فهذه قصيدة الشيخ صلاح أحمد الأحمدي التي أرسلها من مهجره بحيدر أباد الدكن سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وخمسين هجرية عندما تدخل المستر إنجرامس بأمر من حكومته في شئون حضرموت الداخلية وأبعد سلاطينها وأساطينها عن إدارة بلادهم إدارة حقيقية، وتولى هو وحلفاؤه إدارة الأمور، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ صلاح الأحمدي :

أبديت بك وأدعوك ياجيد وغيرك ما يجود

ياحي يا قيوم يا مطلق من الساق القيود

---

(١) ومع الأسف لا يوجد الآن بها وجود على ما نعلم، وكل ما علمناه هو ما كان يستشهد به السيد حامد المحضار رحمه الله.

أسـألك غـفـرانك إذا بيت وحـدي فـي اللحـود
قـال القـعـيطي طول ليلي مـا تهنيت الرقـود
لاهم من دنيـا ولا من عـشق منسـوع الجـعـود
شيبـة في التـسـعين مـتوجـه إلى دار الخلود
عسى يقع مسكني في الجنة وعالحوض الورود
ولا علي قـاصـر ولا الـسلطان يطلبني نقـود
سـاكن في الدكـن بلد عـثـمـان سلطان الهنود
سـلطــــان بن سـلطـــــان عــــالعــــزه يذود
لكنني اتأثرت من خفض الشرف بعد الصعود
أخبار بلغت مـاتسر القلب من أرض النجود
راحت جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود
راحت مع الصاحب بلا قيمة ولا عسكر يقوَد
وشـيـدوا فـيـهـا الكنائس والبـراكس للجنود
آه على لوطان يا غـبني على مـثـوى الجـدود
كم صِحْت كم ناديت قـد بينت به قبل الوجـود
لكننا مـعـذور واحـد عـود مـا مني وقـود
أين الدول أين آل عـبـدالله وهمـدان الاسـود
وأين بن مطلق وين ربعة وين بن سـالـم عبود

أين القعيطي أين يافع لي تطرح في الربود
ذي يرعضون السيل محرى يطلعونه في سنود
اللي لهم عادات بالجودات من عاد او ثمود
وين التميمي والمناهل وين بن عبدالودود
أين الشنافر أين نهد اللي يزرون الشدود
أين الجعيدي أين كنده لي تعزوا بن كنود
والعوبثاني هم وباسيبان شرحان الحدود
وأين باصرة وابن صالح محمد بوعمود
أين الذي قالوا حميناها بأسرار الجدود
هم حضروا البيعة وهم كانوا على البيعةشهود
وبايعادون المدارس والمساجد والسجود
والخمر في لسواق باتبسط به أولاد اليهود
وتبرجن حرات في لسواق حلوات الخدود
يا حرٍ جوفي يا حياة الذل يا حر الكبود
قده أحسن المسراح والمسكن يقع بارض الزيود
وإلا إلى مكة ونترعوي لفيصل ابن سعود
ابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسود
وجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجود

عليــه صلى الله دايم عــد حنات الرعــود

....

انتهت القصيدة التي أثارت حضرموت وأقعدتها ، وتليها قصيدة الأستاذ الذي انتدبه المستر إنجرامس وأعوانه للرد على الشيخ الأحمدي ومعارضته ، وهي :

أبديت بك يا الله يا جــزل العطايا يا ودود

يا فــاتح الأبواب يا وهاب تشــملنا بجــود

اغفـر خطأنا واستـر الزلة وبلغنا القـصـود

وألفين صلى الله على هادي الورى نورالوجود

ثم قـال من بليت يدير الفكر مـا جـاه الرقـود

جـاته قصيـدة زعلت به مثل منظوم العقـود

من لحمدي شيخ القبيلة ذي عمد بارض الهنود

يهـري على يافع وعـاهمـدان والشيـبه عبود

مشتق من السيل الذي عم التهـائم والنجـود

رحمة بهـا وادي العجل يرقص وينعش بالبرود

كثرت بها الأفراح وارتاحت حسينات القدود

وليّ العنا زال البـلا والحق قـائم عـالعـمـود

دانت وزانت لرض من نجـران لما قـبـر هود

أمـان ضـافي يمسي الراكب لوحـده بالنقـود

من بعـد مـا كـانت مـخافة يملئ الجور البدود

الظلم عم والشـر جم ولعـاد حـد يوفي الوعـود

فسـدت قبـائلهـا وخانوا واستهـانوا بالعـهود

كم من برى يسعى على عـياله وفي الدنيـا يرود

يتموا عياله وأرملوا حرمته وأمسى في اللحود

أحـوال شنعـه منكره غـبـره تقـشـعـر بالجلود

حتى عـيالك قد شفَـوا لبليس حنات الكبـود

هو من نفع والا رفع بل زادوا الفـتنة وقـود

والمقبل أعـيف باتقع ليَّام من لهـمـال سـود

وشن بايقع لوعود في وادي بن راشد صك عـود

من بيـــرد الميل شي دولة قـــوية باتذود

وإن شيءغضب مابايخص بل ماتقع صيحة ثمود

مـا ظن بك يا شيخ يافع ذي البـلادة والجمـود

تكره لنا لتـأمين والإنصـاف ذي غـاظ الحـسـود

يحيا إنجرامس ذي جبال الأرض من خوفه تنود

بالهـيبـه أصلحـهـا بلا ضـوله ولا عـسكر يقـود

قيـد ذياباتهـا وبايحكم بتـقـيـيـد الفـهـود
أحيـا الشـريعة وانتـصر للحق والشـر له يذود
والكاف بوسقاف ذي جاب الجميلة له يسود
كاتب وخاطب وأمست الفتنه بسعيه في خمود
لا تجحدون الفضل أهله خس لوصاف الجحود
والسيل جارف في أورُبا شفه رابط بالحيود
وإن ما وقع ذا بيقع ذا لا تزاحمن الوفود
وذي عرفته خير من مولى الحبش له ما يعود
وما ذكرته يا رفيقي في حكومة ابن سعود
دعوى إذا هي صدق باترغم بها أنف الحسود
واسأل ثقات أم القرى عنها وذي حلو رزود
والعدل ما يكرهه حد يا بوعمر إلا اليهود
وأطنبت في عثمان وأثنيته وزليت الحدود
هل شيء معه قوة ترد الماء إذا عمد سنود
وذكرت في يافع ومذحج هم وهمدان الأسود
قولك سوى لكن مضى ذي قلت في زام الجدود
ولت دزوم العيش ما خلفت سوى غشه كنود
قامات زينه كلها إلا تبل في جلد القعود

ما حد ركض في منتزه ربيو على بيع الفرود
خمسين عام اليوم مرت عالوثيقه والشهود
الشيبه عوض ذي هو على العزه يذود
هذا جوابك في قوافي يا صلاح أحمد شرود
وإن زدت زدنا وإن رجعته باتناقش بانعود
والختم للهادي سلامي في قيامي والقعود
عسى بجاهه يسعد المولى بجنات الخلود

....

انتهت قصيدة الأستاذ المعارض ، وتليها القصيدة الثالثة التي رد بها الشيخ صلاح الأحمدي على معارضه ، فقال :

سبحان بارينا تسبحه الخلائق والرعود
الله جل الله قهار الشياطين المرود
ذا فصل ياحيا وسهلا عدد ما في الوجود
لاهم من دنيا ولا من عشق منسوع الجعود
بلغت إلينا ما عرفنا من محب أو حسود
عسى يقع مسكني في الجنة وعالحوض الورود

قم يا رسول الخط من حيدر عباد أرض السعود
أرض الرخا والعدل والرحمة وتحصيل النقود
من خيرها كلاً ملا كيسه ورحلوا للنجود
وتسلطنوا وألقو حكومة حلم طارئ في الرقود
أرخوا خُطمها حولوها أهل الطماعة والوعود
هذا سخا الدكن وهذا جودها يا خير جود
هذا كلام الصدق بايشهد به الخصم اللدود
هيهات من باينتقد عثمان والابن سعود
اللي عمد مكة وقام العدل فيها والحدود
يا ناظم الأبيات ذي سيفك موفر في الغمود
رود شوى عالهجن لا تلغب وتبرك في المقود
أنكرت تنبيهي على همدان والشيبه عبود
راع المجورة لا تخنبق خاف للشارة ردود
صبت الغرض في البعض وأما البعض جاوزت الحدود
كله كلامك في القبائل صدق ما منه جحود
ذلت شجاعتهم ونذقوا بالميازر والفرود
وغيرهم وقعوا كما هم في الجهالة والجمود
بلوى مع دعوى بلا حجة ولا فيها شهود

ولعاد حاجة خل بقعا مستره يا بن حمود
والعدل ما يشناه عاقل من كذب له ما يعود
وذي ذكرته في عيالي صوب ما جابه كمود
ما أنكرك في بعضه ولا صادقك في بعض المدود
هبت على لحقاف نفله باتيبس كل عود
والبخص عالتجار والشيبان ذي فيها قعود
مانا في التسعين عالعكاز وعيوني صهود
والضيف ذي جاكم مقايس شي في العرقة صُيود
ماشي متن واوراك ذلا عظام غبرى في جلود
كله وطنكم شبر سبخه هامله بين الحيود
قوت أهلها صفراً وخوريه وقد تمسي هبود
لا حب في المدفن ولا في الكيس خمسية نقود
وما الشريعة يا رفيقي بتواري في اللحود
والشاب بايفلت وبايفلتن حلوات الخدود
وبايقع تقبيل في الغره ولعماس النهود
هذا لحدث لكبر وعند البادري فسخ العقود
ومن حفر حفره لغيره في وسطها بايعود
وتقول في شعرك وفي نظمك صلاح أحمد شرود

غلطت في نظمك جبل سيبان ما هو بالرفود
والله عالم من طوى فرشه وبكر بالبرود
مالو معي في الرأى قبضه كان سديث العدود
لكن من الإهمال ساد الثعل وأبعدن الأسود
ومن ترك نشرته همل للخيب أمست فيود
والسيل لي ماله موازع بايطير بالربود
هيهات قله كان بالحارث يشبه بالأسود
ومن العجيب أن قلت بن طالب يشابه باربود
ولكاف بوسقاف بحره ما تبلده البلود
يومه إذا قد قال نودي بالشوامخ باتنود
من قام في حجة يصيب الأمر غصباً بالجهود
وإن حد بغى له رز داره ما تفارقها الوفود
ما ظنها إلا جاءت حذفت شقف من لندن تقود
والله عالم بالسرائر والضمائر والقصود
والأمر نافذ قده ذلا زاد رزحه عالربود
هتلر وموسوليني ألجوهم لتحصين الحدود
أيضاً ولا تنسى على وبفضله العالم شهود
عاد الأمل في الله يا شاعر وصالح في الوجود

له ذهن ثاقب يخرج المُحرج مع وقت الورود
ليث المغارة يصلح الهفوات في اليوم العنود
خو جعفر المعروف بالحكمة يفككها عقود
هو يا على منصور في المجرا وفي المعنى سدود
بيني وبينه عهد والأجواد توفي بالعهود
وأنشد على المحضار حامد قل له المجلس يعود
عسى بها تغفر ذنوبه لي اتكتبت في الرصود
وإن بايعاشينا وله شيء مصلحه مانا حسود
صلاة على المختار دايم في ركوعي والسجود
والختم صلى الله على الشافع لنا يوم الورود

وبعد . . . فتلكم هي القصائد التاريخية الثلاث اللآئي تعرضن لاستقبال التدخل الإنجليزي في شئون حضرموت منذ أربعين عاماً تقريباً، وكان بطل التدخل هو المستر إنجرامس، وما إن تربع على كرسي التدخل الأثيم حتى انبرى له الشيخ صلاح أحمد الأحمدي القعيطي اليافعي، وهو إذ ذاك بمهجره بحيدر أباد الدكن، فقال قصيدته الأولى معارضاً للتدخل شاجباً له باكياً منه متوجعاً منذراً بأسوأ العواقب التي

تترتب عليه مهيباً بسلاطين البلاد وأساطينها وأمجادها وإنجادها إلى الثورة على التدخل الإنجليزي الذي رأى فيه شراً مستطيراً على أمة الأحقاف ومعولاً هداماً لشيمها وشممها وقيمها وتقاليدها وعزتها وشريعتها، فكانت قصيدة الأحمدي لذلك كله صيحة مدوية، وكانت حديث الناس في أنديتهم ومجالسهم الخاصة والعامة.

فساريها من لا يسير مشمراً

وغنى بها من لا يغني مغرداً

وبدأت القبائل والسلاطين وأصحاب الرأي تهمهم بالأمر وتتحدث عن الأخطار التي نبه الأحمدي عليها وأشار إليها، فشعر بالأمر المستر إنجرامس ورأى أنه سيواجه انقلاباً عليه وأنه لا يستطيع أن يدفع الدعاية القائمة ضده إلا بدعاية مضادة لها، فعمد إلى من يحسن بهم الظن وشاورهم في الأمر فأجمعوا على رأى إنجرامس، واتفقوا على أن يتولى أمر الدعاية المضادة رجل بصير كفؤ، ويقال أنهم رشحوا لها أستاذاً كاتباً شاعراً موظفاً في إحدى السلطنتين آنئذ، ويقال أنه كان عند الظن به فأخذ على عاتقه النهوض بعبئ الثورة

المضادة، فأنشأ قصيدته الأولى على غرار قصيدة الأحمدي وشجب بها ما قال الأحمدي، ورماه بكل حجر ومدر، ونشر قصيدته بتوقيع الفرزدق، وكانت توزع في العاصمة الكثيرية، فقرأ الناس القصيدة المعارضة وقارنوا بينها وبين قصيدة الأحمدي التي كانت قرة أعين أصحاب الرأي المستقيم وفقهاء الاجتماع وعشاق العزة، بينما كانت قصيدة المعارضة في نظرهم إلفاقاً من الضعة والهوان والتحريف والتزييف، وكانت فوق ذلك صورة للقمأة والذلة الشامتة ولم ترق إلا ذلك النفر من النفعيين والطامعين والحاقدين الذين دمر الحقد فيهم كل غرائز الخير.

وفي أثناء مطالعة الشعب الحضرمي الذكي الواعي للقصيدتين جاءت حادثة قبيلة آل جابر التي ترتبت على رميهم قذيفة بندقية واحدة على سيارة تابعة للمستر إنجرامس مرت في حدود آل جابر بلا إذن منهم، ولم تحدث الرمية ما يستحق الغضب المدمر، ولكن إنجرامس الذي شحنته قصيدة الشيخ الأحمدي غضباً على حضرموت وأهلها رأى في تلك القصيدة تهديداً لمكانته وتحدياً لقوته وإهداراً لكرامته وفضحاً

لسياسته، فاتخذ من هذه الحادثة مبرراً فضرب قبيلة آل جابر بالطائرات الإنجليزية مستهدفاً إذلال الأمة الحضرمية كلها في إذلال قبيلة آل جابر القليلة العدد والعدة.

وكانت هذه الحادثة البرهان الأول على صدق فراسة الشيخ الأحمدي وتنبؤاته في قصيدته، كما كانت الصفعة الأولى القاسية لمعارضي الأحمدي ولأحلامهم الهزيلة، فقامت الطائرات الإنجليزية أولاً بإلقاء المنشورات المهددة بالويل والثبور واجتياح الحرث والنسل إذا لم تسلم آل جابر السلاح وتسلم نفسها، ولم يستجب آل جابر الشجعان للإنذار ولم يخضعوا للتهديد، إذ لم يروا أنهم ارتكبوا ما يستحقون أن تعاملهم بريطانيا بسببه بمثل هذه القسوة، ولكن بريطانيا ممثلة في إنجرامس ارتكبت جريمة تنفيذ الوعيد على أخطائه وطيشه، فأرسلت طائراتها التي كانت رابضة في مطار فوه بالمكلا فشنت عشرات الحملات على آل جابر فرمتهم بالجحيم والعذاب الأليم، ومكثت الطائرات المقاتلة تغادي وتراوح آل جابر عدة أيام، وإنجرامس ورهطه يصرون على استسلام آل جابر التام ليجعلوا منه استسلاماً من الشعب الحضرمي والقبائل الحضرمية كلها، ورأوا أن ذلك

هو الرد البليغ على قصيدة الأحمدي .

وصمدت قبيلة آل جابر حتى نفد كل ما تملكه من عدة وعتاد فاضطرت إلى الاستسلام، واستسلم معها كل الشعب الحضرمي بل استسلم الجنوب كله، ولقد اعتد إنجرامس كل الاعتداد بهذا الاستسلام، واعتد به أذنابه، وبماذا اعتدوا؟ اعتدوا بانتصار بريطانيا العظمى بأساطينها الجوية والبحرية والبرية وجنودها وبنودها على مائة نفر من البدو أو يقلون، وتباذخ إنجرامس وانتفخت أوداجه ومارت أثياجه وتجعضر هو وأصحابه وتخايلوا ذلك الانتصار الفاجر يقع على غير عدو وعلى غير كفؤ في العدد والعدة .

ومن الحمق أن نقيم مقارنة بين آل جابر وبريطانيا ولكنه الواقع نتحدث عنه على تفاهته وقذره من جهة بريطانيا، ونراها قد أذلت كبرياءها ومسحت بعزتها الأرض حينما استجابت لرغبة إنجرامس ورفاقه فخولتهم أن يرموا بكل القوى ومنها الطائرات آل جابر وهم لا يملكون إلا البندقيات التي ليس بإمكانها أن توصل قذائفها إلى القوى البريطانية المعتدية .

ولقد تجسد كل ما نقوله في الصورة التي أمر إنجرامس بأخذها للجلسة التي عقدها لمحاكمة آل جابر بعد استسلامهم وحشد لمشاهدتها الملأ ليجعلها رعباً يتفشى في نفس الشعب الحضرمي وفي نفس من سمع بها من أبناء الجنوب، ففي هذه الصورة يرى الناظر إنجرامس وأذنابه يحيطون به من يمينه ومن شماله ومن خلفه، وترى قبيلة آل جابر رابضة تحت أقدام إنجرامس وبين يديه ملقية سلاحها أكداساً وهو يعرضها وسلاحها على الناظرين متباذخاً في صفاقة يترفع الأبطال عن الظهور بمثلها، وهذه الصورة البغيضة القذرة يُحلي بها إنجرامس صفحة من كتابه عن حضرموت، وبنظرة في تلك الصورة يدرك الناظر ما كان عليه الاستعمار الإنجليزي لعهد إنجرامس من أمارات الطيش والغرور والسخف.

ومن حيث ظن إنجرامس ورفاقه أنهم نجحوا بضرب آل جابر في الرد على الأحمدي نجح الأحمدي النجاح الكبير وصدقت فراسته بأن التدخل الإنجليزي بادرة شر يأتي على الأخضر واليابس، وكانت الحملة على آل جابر وتحطيم دورهم وتدمير محارثهم وتشتيت وإعدام ماشيتهم وتكليفهم

الخضوع القاتل، كانت تلك الحملة الرعناء الشاهد الذي لا يرد على صدق الأحمدي.

ومهما ضعفت حركة المقاومة القتالية للاستعمار الإنجليزي بحضرموت فقد قويت حركة الوعي لشر التدخل الإنجليزي، وتعمقت البغضاء والكراهية للإنجليزي في نفس الشعب الحضرمي، واشتد تعلق الناس بقصيدة الأحمدي وتناقلوها واعتبروها نبوءات صادقة، وأخذ كل من أفراد الشعب الواعين يترنم بالقصيدة ويبكي مع الأحمدي، من الغبن الذي ندد به الأحمدي، ذلك الغبن الذي أصاب الأمة الحضرمية في أرض آبائها وأجدادها ومطلع أبراقها وأرعادها ومستقر عزتها ومناط فخرها حيث يعلو ذكرها ويمجد أمرها.

وذهب كل حضرمي واعٍ يتأسف مع الأحمدي على أرض الجدود؛ لأن الطامة الكبرى قد وقعت وهو في التسعين من عمره حيث لا يقوى على الحركة للمقاومة فقد قعدت به السن عن منازلة الأحداث ومبارزة الكوارث، وهو لا يملك إلا التفجع والتوجع، وقد يرفع صوته عالياً مدوياً مجلجلاً يستثير قواعد العزة وزواقرها في أرض عاد التي عُرفت بالقوة

الفذة والجبروت الذي لا يقف أمامه شيء إذا ما جد جده وقدح زنده.

أجل، لقد نادى الشيخ صلاح أمة الأحقاف وأثارها وتساءل عن اللهاميم الصيد يستثير نخوتهم ويلهب حماسهم، وألح الشيخ في السؤال عن الأذواء والأقيال من القبائل الحضرمية الذين تعتمد عليهم البلاد لدفع كريهة وسداد ثغر لما عرفوا به من العراقة في الإباء والتضحية والفداء، ثم التفت الشيخ صلاح وسأل عن أهل العلم والعبادة وحملة الأسرار الذين ربما قال قائلهم أو ظنوا أنهم ممن يحمي الله به البلاد والعباد بما باركه فيهم من الدعوات الصالحات والأسرار المؤثرة، ولكن أحداً لم يستجب للشيخ صلاح لأنهم كلهم قد انتهوا أو انتهت بهم الأمور إلى حيث أصبحوا لا يستطيعون أن يحققوا شيئاً لسبب أو لآخر مما كان يقوم به سلفهم، فالقبائل انحرفت عن سنتها وأصيبت بالخذلان فأصبحت ليست أهلاً للمقاومة، وأصحاب الأنوار والأسرار طرأ عليهم ما عاق دعاءهم عن الوصول إلى سماء القبول، إذ فارقوا ما كان عليه أسلافهم من الاستقامة التي يبر بها الله إقسام المقسمين عليه من عباده الصالحين الذين يقول فيهم النبي صلوات الله عليه

وسلامه : «ربَّ أشعث ، مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره»[١] .

وتنبأ الشيخ صلاح بأن التدخل الإنجليزي في شئون البلاد الداخلية سيكون قاعدة لتفشي الفساد تدفع منها الأخلاق إلى حضيض الرذيلة برغم ما يمكن أن يصاحب الاستعمار من عدالة في القضاء المدني وما يليه من أمن على كل شيئ إلا على الدين والأخلاق والأعراض، ولقد تحقق كل أو جل ما قاله أو تنبأ به الأحمدي رحمه الله، ومن ذلك ما قاله الأحمدي لمعارضيه :

أما الشريعة يا رفيقي بتوارى في اللحود
والشباب بايفلت وبايفلتن حلوات الخدود
وتبرجن حرات في لسوق زينات القدود
يا حرَّ جوفي يا حياة الذل يا حر الكبود
وبايقع تقبيل للغره ولعماس النهود
هذا لحدث لكبر وعند البادري فسخ العقود

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الضعفاء والخاملين ، رقم الحديث (٢٦٢٢).

هبت على لحقاف نفله باتيبس كل عود

والبخس عالتجار والشيبان ذي فيها قعود

هذه هي مخاوف الأحمدي، وتلك هي تنبؤاته، وكلها أو جلها قد صدقت، فأهل الأموال والقادرون على الفرار قد فروا ولم يبق إلا العاجزون عن الفرار، والخمور قد أبيحت، والشباب من الجنسين قد تفلت من أرسان التقاليد وأخذ طريقه إلى حيث لا يرضى الأحمدي والأحمديون.

أما رد الأستاذ على الأحمدي فإنه لم يصب المحز، والأستاذ ممن شاركوا أو ساروا في ركاب التدخل الإنجليزي مع السادة والقادة أو مع بعضهم على الأصح، ولقد تعلق المعارض في رده بالقشور وبالأحوال الشخصية، ودندن على ما صاحب التدخل الإنجليزي من الأمن الموهوم على الأنفس والأموال ولكنه ضرب بالحرص على الأمن على الدين وعلى الأخلاق والأعراض عرض الحائط، وهو يعلم أن الإنجليز لا يستهدفون إلا تحطيم التدين والأخلاق والعزة القومية، ولم يكن مع الأستاذ فيما ذهب إليه إلا الزعم المزعوم، وربما كان الأستاذ نفسه مكرهاً ومتورطاً.

أما السلاطين فإنهم وإن كانوا هم الذين وقعوا معاهدة الاستشارة التي خولت الحكومة الإنجليزية التدخل السافر الكافر في شئون حضرموت فقد كانوا مكرهين حقاً على قبول التدخل الإنجليزي البغيض، وكانوا مهددين بالعزل والإبعاد عن بلادهم، وكانوا عالمين بأنهم لو عرضوا أنفسهم للعزل والإبعاد وعارضوا التدخل الإنجليزي لما تعوق شيء مما يريد الإنجليز آنئذ فخضعوا للأمر بأضعف الإيمان، ولم تمر إلا أشهر حتى شلت إرادة السلاطين عن إدارة بلادهم فأصبح كل سلطان موظفاً يعدد أياماً ويقبض راتباً.

وأسندت إدارة البلاد للمستشار، واستقدم المستشار رجالاً من السودان والهند وزنجبار ليتولوا إدارة البلاد باسم السلاطين في ظاهر الأمر، والواقع أنهم إنما ينفذون إرادة الإنجليز باسم السلاطين المغلوبين على أمرهم، ثم انطلق المستر إنجرامس وحلفاؤه من المستشارين الإنجليز وأذنابهم من الأفاقين والحضارم المغلوبين على أمرهم أو المخدوعين، انطلقوا يضعون النظم والدساتير للحياة التي يريدونها للشعب الحضرمي، فكرسوا كثيراً من الوقت لحفظ الأمن

وتحطيم الأخلاق وإضعاف التدين وتهوين أمر الانتساب إلى الدين، وكانت حربهم في هذه الميادين كثيراً ما تكون في غطاء عن أعين الجماهير .

ولقد بذلوا جهوداً جبارة لإضعاف القوة القومية بل لإبعادها، فأصبحت البلاد مكشوفة وأصبح السلاطين لا يأوون إلى ركن يحميهم مما يراد بهم، فلا زعامة دينية، ولا عصبية قومية، ولا قيادة وطنية .

وظل الإنجليز وأذنابهم يخدعون الشعب بو[illegible] اطنة السلاطين بنسبة الأعمال إليهم، وهي نسبة كاذبة بينما الأمر كله قد أصبح للإنجليز وصنائعهم التي صنعها إنجرامس على عينه واختصها بعطفه وكانت موضع سره وثقته، فألف منها الجيش والشرطة، وعين لها قادة يتلقون الأمر من المستشار، ثم عين جماعة ظفروا بثقته أعضاء في المجلس الذي أنشأه هو وسماه مجلس الدولة، فخلقه وصوره ونفخ فيه من روحه فكان إنجليزياً أكثر من الإنجليز .

وما زال المجلس يتقرب إلى المستشار الذي أصبح سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، وإذا ما أراد المستشار أن

يحدث تغييراً في الوضع أوحى إلى المجلس بأن يتقدم إلى السلطان باقتراح حول ما يريد المستشار لشقاء الأمة، فينعقد المجلس ويعقد الجلسات الصورية للنظر في ذلك الموضوع، وقبل انعقاد المجلس يرسل المستشار وحيه إلى من يريد من رجاله، وكلهم رجاله، وإنما يوحي إلى كل ما هو أهله وما هو أقدر عليه، وكلمة السر للمخالفة والموافقة معروفة بين أعضاء المجلس الموقر بالإثم والكذب، فيصدر قرار المجلس بالإجماع إذا أراد المستشار الإجماع، وبالأغلبية إذا أرادها مستشار.

أما القضاء الشرعي فقد كانت تمثل فيه وبه المهازل على أنواع، فتقع تارة في اختيار القضاة الذي لا يعرفون شيئاً من القضاء الشرعي إلا القليل جداً؛ لأنهم لم يدرسوا من فقه الشريعة الإسلامية ما يؤهلهم فتأتي أحكامهم أنماطاً من الهراء والإثم، وأحياناً تكون المهزلة في اختيار المذهب الذي يراد تحكيمه خلافاً لمذهب الأمة، وأحياناً تكون في اختيار من يسند إليهم الاختيار وهم أبعد ما يكونون عن الفقه الإسلامي، وما كانوا من الفقه في عير ولا نفير، فحملهم

على رقاب المواطنين الوطنيين المخلصين .

ولقد كان الإنجليز يستهدفون من هذا كله أن يبغضوا القضاء الشرعي إلى الأمة الحضرمية لحملها على طلب قضاء مدني كما هو الحال بعدن، حيث تباح المحرمات، ويتظاهر من يريد التظاهر بالموبقات على سمع العالم وبصره بحكم القضاء المدني الإنجليزي، وأهل عدن كارهون، على أن الإنجليز لم يكفوا عن إيجاد قضاء مدني في حضرموت فجندوا له زمرة من الفتوّات الصعاليك ممن لم يحمل أحدهم أية شهادة تؤهله للقضاء بين الناس، ولكن الإنجليز بحضرموت استباحوا كل شيء بعد ما أنزلوا بالحضارم تلك الضربة المذلة التي نزلت بقبيلة آل جابر والتي خافها الأحمدي وبكى من خوفها قبل وقوعها، فقال عنها :

قال القعيطي على نومي ماتهنيت الرقود
لا هم من دنيا ولا بي عشق منسوع الجعود
لكنني اتأثرت من خفض الشرف بعد الصعود
أخبار بلغت ما تسر القلب من أرض النجود
راحت جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود
راحت مع الصاحب بلا قيمة ولا عسكر يقود

يا حرَّ جوفي يا حريق القلب يا حر الكبود

....

وهكذا نُكبت حضرموت بانحراف قادتها ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، ولعل هذه الضربة التي نزلت بالحضارمة في قبيلة آل جابر هي الضربة المذلة الثانية للضربة التي أنزلها بهم معن بن زايدة ، وفيها قال الشاعر مروان بن أبي حفصة مخاطباً معن بن أبي زايدة :

ـربت خدود الحضرميين ضربة
بها ما بنوا من عزة قد تضعضع
فأقعوا على الإستاه إقعاء معشرٍ
يرون اتباع الذل أجدى وأنفع
فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها
لفروا وما مدوا إلى الحرب أصبع

أجل ، قد يذل العزيز ، وتنكب مزاياه ، وتتغير خلاياه ، وتجعله في يومه غيره في أمسه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولله الأمر ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ،

والحضارمة ليسوا من المسومين بالذلة، كلا وألف ألف كلا، فإن فيهم من أباة الضيم من تستطيع حضرموت أن تباهي به أكابر رجالات الأمم في التضحية والفداء والقوة والفتوة والأبوة والمروءة، ولقد عاصرنا من رجالهم كثيراً ممن إذا قال فعل، ومن يضرب بهم المثل في علو الهمة وسمو الكلمة وقوة المصاع إذا احتدم النزاع وصال الحمام وزلزلت الأقدام، ولهم مع بعضهم البعض مصاولات مذهلة وبطولات خارقة.

وإذا كان المبرد صاحب كتاب الكامل قد أكبر ما قيل عن الخوارج من البطولات ممثلة في أن منهم من مشى إلى الرمح بالرمح، ومنهم من مشي إلى السيف بالسيف، فإن كثيراً من أبطال الحضارم ممن مشى إلى السيف بالسيف، ومن مشى إلى الرمح بالرمح، ومن مشى إلى الرصاص بالرصاص.

ولقد سمعنا عنهم حديثاً عجباً من البطولات والفروسيات القتالية مما لا يروى مثله إلا عن القلة القليلة النادرة من شجاعة وشراسة وثبات في مواقف ترتعد منها فرائص الكماة الأبطال، وفي حروب وملاحم يافع وآل كثير

من ذلك ما ترجف لهوله القلوب.

ولقد حدثني من لا أرتاب في صدقه أن آل كثير هجموا ذات مرة على مدينة الشحر في غفلة من الحراسة اليافعية القعيطية واستولوا عليها إلا داراً واحدة هي الدار التي ينزل فيها السلطان عوض بن عمر القعيطي مؤسس الدولة القعيطية، فلما انتهى إليه أن آل كثير قد سيطروا على المدينة إلا الدار التي ينزلها هو نادى كبير الحراس فقال له أمام كبار قادته: إذا كان قد تم استيلاء آل كثيرعلى الشحر فانسف الدار.

وكان السلطان يُلغم منزله حيثما كان ببراميل البارود، فاستثار أمر السلطان بالنسف حماس قادة الجيش اليافعي الحاضرين في مجلسه، وقد كانوا يقضون معه معظم الأوقات ويتناولون طعامهم على مائدته لتداول الرأي عن كثب، فطلبوا من السلطان إيقاف أمر النسف قائلين له: إننا لم نيأس بعد وسترى منا ما يسرك إن شاء الله، فأوقف النسف، وانظر ما نفعل، فاستجاب السلطان لرغبتهم ورسم لهم خطة بارعة الحول والحيلة مكرت بآل كثير مكراً كباراً، وأحالت انتصارهم انكساراً، وبعد أن رسم الخطة قدمها لقادته «أصحاب السفرة»

كما كانت تسميهم العامة، وأمر بتنفيذها على الفور، فنهض أصحاب السفرة بالمهمة وعلى رأسهم البطلان اليافعيان العظيمان عمر عبدالله الحدادي، وسالم بن علي الدهري، فتسللا ومعهم رجال من أولي العزم إلى دار ملاصقة لمنزل السلطان القعيطي قد احتلها آل كثير المغاوير، فداهمتهم يافع من السطح وهم يهتفون بحياة السلطان القعيطي ورجال يافع الغلابة، فارتاع آل كثير للهجوم المفاجئ الجريء، وظنوا أن قد حدث في الشحر ما غير الأوضاع فسقط في أيديهم واستسلموا آيسين، وهلل يافع وكبروا وكبر من سمع تكبيرهم ممن كان خارج الدار من أنصارهم وهم كُثر، وشد الدهري والحدادي وثاق أسراهم واستاقوهم إلى قصر السلطان، فلما رآهم من أمكن أن يراهم من آل كثير الغزاة قدر أن يافع قد استعادوا الشحر إلا المكان الذي هو فيه فيستسلم منهم من يستسلم ويفر من يفر ناجياً بنفسه.

وفي نفس الوقت تكررت هذه المشاهدة وأمعن رجال السفرة في تعقب آل كثير، فمروا بكمين من أبطال آل كثير فأطلق النار على رجال السفرة بكثافة فسقط القائد البطل

سالم بن علي مضرجاً بدمه، فانحنى عليه زميله عمر بن عبدالله الحدادي يستنهضه ويقوله له: أبشر فإنك ناج من الإصابة، فقال له الدهري: أما أنا فإنني لما بي، والضربة قاتلة، ووضع يده على محل الإصابة فعصره وامتلأت يده دماً، فمد يده إلى الحدادي قائلاً له: هذا دمي من أمعائي، فدعني واذهب قاتل عن السلطنة والسلطان، ولا تنشغل بي.

وفي هذا أو مثلها يقول شاعر يافع باعطوة:

ويعصـــــرون دمومهـــم بيـــداتهم
ويشـــربون عقيقـــها والحـــال

وفي نفس اليوم وفي الشحر نفسها والقتال شغل يافع وآل كثير الشاغل، وقبل أن يقتل سالم بن علي الدهري كان جماعة من يافع بينهم الدهري والحدادي يعكفون على ذبيحة يشوونها في بهو بعض الدور التي احتلوها فصيح بهم بأن آل كثير قد وثبوا بالسلالم على سطح البيت الذي هم فيه، فهب يافع من فوق الذبيحة صعوداً إلى السطح لمقاتلة آل كثير وبينما هم في الدرج حانت التفاتة من الدهري إلى زميله الحدادي فرآه يحمل شريحة من اللحم ويقطع منها ويأكل،

فصاح به الدهري: إن الوقت ليس وقت لحم، فقال له الحدادي: إنه وقت لحم وطعن، وإني أرفض أن يقول قائل عني إنني عندما سمعت بأن آل كثير في السطح تُقاتلنا ذهلت عن لحمتي مذعوراً، ولكنني سآكل اللحم وأطاعن آل كثير فخذ طريقك إلى السطح وأنا معك من بين يديك وعن يمينك وعن شمالك، فلما وصل يافع إلى السطح نكص آل كثير على أعقابهم وهم المغاوير الشجعان إلا أن الديار يافعية والريح يافعية فما كان لهم أن يصمدوا.

ومن ثم تعددت الانتصارات اليافعية في ذلك اليوم بقيادة رجال السفرة على الجيش الغازي الذي كان يتولى قيادته السلطان غالب بن محسن الكثيري الذي احتل الشحر إلا دار آل بوبك، واسترد السلطان القعيطي الشحر، ولم يدم احتلال آل كثير لها أكثر من ليلتين أو ثلاث ليال، وفي ذلك يقول المعلم الشاعر عبدالحق:

مار نحواً فيها ثلاث ليالي ....

ولنعد إلى الحديث عن عمر بن عبدالله الحدادي الذي أبى عندما هجم عليه آل كثير إلا أن يستمر في تناول لحمته

ويقاتل آل كثير بضراوة وثبات، فنقول: إن موقف الحدادي موقف بطولي تغبطه عليه صناديد الأبطال، لما يتجسد فيه من الثبات والإباء والكبرياء والاعتداد في ساعة رهيبة يأتلق فيها السلاح الأبيض على رؤس الرجال وعلى قلوبهم، وقلما سمع الناس بمثل هذا الموقف إلا ما يروى عن ذلك الصحابي الجليل عمير بن الحمام الأنصاري في معركة بدر وقد حمي الوطيس وهو مشغول بتميرات يأكلهن، فسمع النبي ﷺ يقول: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال عمير: جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، قال رسول الله ﷺ: «وما يحملك على قول بخ بخ؟»، قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة، طويلة، فرمي ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم فقُتل شهيداً رضي الله عنه وأرضاه[1]، ولا ريب أن عمل الصحابي الجليل أفضل من عمل الحدادي؛ لأنه في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، وهو صحيح، انظر تخريج الألباني للأحاديث الواردة في كتاب فقه السيرة، لمحمد الغزالي.

سبيل الله، هذا وإن في كل قبيلة من قبائل حضرموت الشهيرة عمالقة مغاوير من فرسان الطعن والضرب ومساعر الحرب.

***

ولنعد إلى الحديث عن الأحمدي ومعارضه في قصائدهم الثلاث، محاولين رسم الصورة الكاملة لرأي كل منهما في شعره، آخذين بعين الاعتبار الأسباب والغايات.

ولقد قلنا سابقاً: إن المعارض أغفل متعمداً النظر إلى آماد الأحمدي وأبعاده السياسية والاجتماعية والدينية، وأنه وقف يدندن حول الأمن على النفس والمال، معرضاً كل الإعراض عما يترتب على التدخل الإنجليزي من القضاء على القوى الوطنية والأخلاقية والشرعية، من حيث تدينٌ ومثلٌ وتقاليد يجب تعاطيها ويحرم التظاهر بما ينافيها، فكان في هذا قصير النظر غبياً أو متغابياً، وكان في جل ما قاله ضئيل المحتوى، تافه الفائدة، قليل العائدة، أما الأحمدي فإنه كان كبير الهم، ضخم المطلب، بعيد المرمى، سامي القصد، وكل ذلك يتجلى في تخوفه على وادي الأحقاف وحرثه ونسله وتقاليده وأمجاده إذ يعرضها التدخل الإنجليزي

المباشر للتدهور والانتقاص.

ولقد كان المعارض ساذجاً أو متساذجاً حينما عج حتى بح صوته بالهتاف والتحية للمستر إنجرامس، فأساء إلى نفسه وإلى دينه وإلى يقينه وإلى قومه وكل ذلك، فما أبغض وما أرذل قوله:

يحيا إنجرامس لي جبال الأرض من خوفه تنود
بالهيبة أمَّنها بلا ضولة ولا عسكر يقود

وما يُحيِّي إنجرامس المستعمر المذل لعزة الأمة إلا بغيض غبي موغل في الغباء، أو مخذول مكره، وعسى أن يكون المعارض من المكرهين، أما ادعاؤه أن المستر إنجرامس أمَّن البلاد بلا ضولة ولا عسكر يقود فمن إفك القول، ذلك أن إنجرامس استخدم كل القوى حتى الطائرات، ولولا هذه القوى الضاربة لما كان إنجرامس وأذنابه من الحضارمة قادرين على أن يفعلوا شيئاً، ولكنه استخدم قوة وهيبة أكبر دولة في العالم، فضربت الشعب الحضرمي مما جعله يركع أمام تلك القوة العظيمة الغاشمة، ولا تلام حضرموت إذا استسلمت لقوة استسلمت لها الدنيا كلها أو جلها، وما أظن القوة

سبيل الله، هذا وإن في كل قبيلة من قبائل حضرموت الشهيرة عمالقة مغاوير من فرسان الطعن والضرب ومساعر الحرب.

***

ولنعد إلى الحديث عن الأحمدي ومعارضه في قصائدهم الثلاث، محاولين رسم الصورة الكاملة لرأي كل منهما في شعره، آخذين بعين الاعتبار الأسباب والغايات.

ولقد قلنا سابقاً: إن المعارض أغفل متعمداً النظر إلى آماد الأحمدي وأبعاده السياسية والاجتماعية والدينية، وأنه وقف يدندن حول الأمن على النفس والمال، معرضاً كل الإعراض عما يترتب على التدخل الإنجليزي من القضاء على القوى الوطنية والأخلاقية والشرعية، من حيث تدينٌ ومثلٌ وتقاليد يجب تعاطيها ويحرم التظاهر بما ينافيها، فكان في هذا قصير النظر غبياً أو متغابياً، وكان في جل ما قاله ضئيل المحتوى، تافه الفائدة، قليل العائدة، أما الأحمدي فإنه كان كبير الهم، ضخم المطلب، بعيد المرمى، سامي القصد، وكل ذلك يتجلى في تخوفه على وادي الأحقاف وحرثه ونسله وتقاليده وأمجاده إذ يعرضها التدخل الإنجليزي

المباشر للتدهور والانتقاص.

ولقد كان المعارض ساذجاً أو متساذجاً حينما عج حتى بح صوته بالهتاف والتحية للمستر إنجرامس، فأساء إلى نفسه وإلى دينه وإلى يقينه وإلى قومه وكل ذلك، فما أبغض وما أرذل قوله:

يحيا إنجرامس لي جبال الأرض من خوفه تنود
بالهيبة أمَّنها بلا ضولة ولا عسكر يقود

وما يُحيِّي إنجرامس المستعمر المذل لعزة الأمة إلا بغيض غبي موغل في الغباء، أو مخذول مكره، وعسى أن يكون المعارض من المكرهين، أما ادعاؤه أن المستر إنجرامس أمَّن البلاد بلا ضولة ولا عسكر يقود فمن إفك القول، ذلك أن إنجرامس استخدم كل القوى حتى الطائرات، ولولا هذه القوى الضاربة لما كان إنجرامس وأذنابه من الحضارمة قادرين على أن يفعلوا شيئاً، ولكنه استخدم قوة وهيبة أكبر دولة في العالم، فضربت الشعب الحضرمي مما جعله يركع أمام تلك القوة العظيمة الغاشمة، ولا تلام حضرموت إذا استسلمت لقوة استسلمت لها الدنيا كلها أو جلها، وما أظن القوة

العربية جميعها تساوى واحداً من الألف من قوة بريطانيا، ولولا هذه القوة الغاشمة الظالمة لما استطاع الأستاذ أن يحرك لسانه بتلك القصيدة المنافقة، فهل يصح أن يقال: إن إنجرامس أمَّن البلاد وأذل عزتها وأسقط هيبتها بلا ضولة ولا عسكر يقود، إن هذا هو الإفك بل المحال.

وأما ما ذكره في قصيدته عن أبناء الشيخ الأحمدي وأنهم قد اضطروا في غياب الأمن الإنجليزي إلى التقاتل بينهم، فقتل الأخ أخاه، فذلك وحي حقده وحقد إنجرامس على الشيخ الأحمدي، وفي ذلك يقول المعارض للأحمدي:

حتى عيالك قد شفوا لبليس حناث الكبود
هو من نفع والارقع بل زادوا الفتنة وقود

ومثل هذه الأحداث تجري دائماً في كل الأمم لأسباب كثيرة، ولا تكاد تسلم منها أمة.

ولقد أحسن الأحمدي الرد على معارضه حينما قال له:

وما ذكرته في عيالي صوب ما جا به كمود
ما أنكرك في بعضه ولا صادقك في بعض المدود

فهذا جواب متزن وقور، يتحرى الصدق ويترفع عن

الإسراف في الإسفاف في لغو القول، ولا يلوذ بالتهويش كما يفعل المعارض.

وتعرض لملك حيدر آباد الدكن عثمان مير علي خان ذلك المسلم المحسن الكبير إلى كل المسلمين ولا سيما الحضارم، فعرَّض به وصرح بالتهكم به، ونسي أياديه على الأمة الحضرمية في المهاجرين منهم إلى الدكن، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وشق عليه أن يقول الأحمدي في الملك المسلم (سلطان بن سلطان عالعزة يزود) فقال للأحمدي منتقداً قوله هازئاً به: (وأطنبت في عثمان وأثنيته وزليت الحدود).

ورد على الأحمدي تنويهه بالملك ابن سعود عندما قال الأحمدي متبرماً ساخطاً من الوضع الذي نشأ أو سينشأ من جراء التدخل الإنجليزي في شئون حضرموت:

قده أحسن المسراح والمسكن يقع بأرض الزيود
وإلا إلى مكة ونترعوى لفيصل ابن سعود
ابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسود
وجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجود

فلم ينشرح لهذا القول صدر المعارض فقال للأحمدي :

واسأل ثقات أم القرى عنها وذي حلو رزود
والعـدل ما ينكـره حد يا بو عمر إلا اليـهود

وذكـر المعـارض الكاف وأثنى عليـه ونسب إليـه أنه هو الذي حرض الإنجليز على التدخل في شئون حضرموت وأنه هو الذي تولى كبر هذا الحدث ، فقال :

والكاف بوسقاف ذي جـاب الجميلة له يسود
خاطب وكاتب وأمست الفتنة بسعيه في خمود
لا تجحدون الفضل أهله خس لوصاف الجحود

....

وهذا يدل على أنه يرى أن عـمـل الكاف بـوسـقـاف من الفـضـائل التي يجب التنويه بها والانـحناء لهـا كلمـا ذكـرها الذاكـرون وغفـل عن ذكـرها الغـافلون ، وإن إنكـارها جـحـود خسيس ، ونحن لا نقـول لـه إلا ما قـال الإمام علي للأشعث بن قيس يؤنبه ويوبخه ويهـد أركانه ويزلزل كيانه : إن امرؤ دل على قومه السيف وسـاق إليهم الحتف لحري أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد .

وبعد، فإن كل ما يمكن الاعتذار به عن ذلك الإثم أن يقال أن الرجل كان غبياً أو متغابياً، لم يقدر عواقب التدخل الإنجليزي، ولقد بلغنا أن الأستاذ وممدوحه الكاف بوسقاف قد ندما أشد الندم.

ولقد رد الأحمدي على المعارض ما قاله عن الكاف بوسقاف فقال:

والكـاف بوسقاف بحـره ما تبـلده البـلود
يومه إذا قد قـال نودي بالشـوامخ باتنـود
من قام في حجة يصيب الأمر غصباً بالجهـود
ومن بغى له رُز داره ما تفارقهـا الوفـود
ما ظنها إلا جاءت حذفت شقف من لندن تقود
والله عالم بالسرائر والضمائر والقصـود

ويرى الأستاذ أن التدخل الإنجليزي أصبح أمراً لا بد منه بحكم السياسة الدولية العامة، وفي ذلك يقول:

....

والسيل جـارف في أوربا شفه رابط بالحيود

وإن ما وقع ذا بايقـع ذا لا تزاحمن الوفـــود
وذي عرفته خير من مولى الحبش له ما يعود

ومولى الحبش المراد به إيطاليا، والمقصود (بذي عرفته) بريطانيا، فقال الأحمدي في الموضوع:

ماظنـها إلا جاءت حدفت شقف من لندن تقود
هتـــلر وموسيليني ألجوهم لتحصين الحدود

وعلى هذا لا يكون للكاف وأذنابه إلا إثم المتابعة وإثم الترحيب بالاحتلال البغيض وإثم ما صرف من الأموال لتمكين الاحتلال وتزيينه للناس، ثم ذهب يبرر التدخل الإنجليزي بأن وثيقة الحماية الإنجليزية قد وقعها منذ خمسين عاماً السلطان عوض بن عمر القعيطي فقال:

خمسين عام اليوم مرت عالوثيقة والشــهود
الشيبه عــوض لي هــو على العــزة يذود

ولا يرضى الأستاذ بتنويه الأحمدي بقبائل حضرموت، ويشتد غضبه من ثناء الأحمدي عليها واستنهاضه لها لمكافحة التدخل الإنجليزي، فيقول للأحمدي:

ذكرت في يافع ومذحج هم وهمدان الأسود
قولك سوى لكن مضى ذي قلت في زام الجدود
ولت دزوم العش ما خلفت سوى غشه كنود
قامات زينة كلها إلا تبل في جلد القعود
ما حد ركض في منتزه ربيو على بيع الفرود

....

وهو يعني بالفرود الأرز، جمع أفراد، وكان صغار التجار من الحضارم في الهند وجاوا يتعاطون بيع الفرود.

ولقد تجاهل الفرق الهائل بين الحماية التي وقع عليها السلطان عوض وبين وثيقة الاستشارة التي خولت الإنجليز التدخل في شئون البلاد الداخلية كلها، وتم بها عزل السلاطين بل الشعب كله عن أي عمل إلا بموافقة الإنجليز، ولم يقع أبداً مثل هذا في عهد السلطان عوض ولا في عهد غيره من خلفائه، فلم يتدخل الإنجليز في عهد من العهود الماضية في شئون حضرموت حتى أبرمت وثيقة الاستشارة المشئومة على يد المستر إنجرامس وأعوانه وهم في عنفوان أول عهدهم بالسياسة والصلة بالإنجليز، فخاطبوا وكاتبوا كما

قال الأستاذ حتى قضي الأمر وحملوا الإنجليز أو أعانوهم على التدخل، فأرغمت بريطانيا السلطان صالح بن غالب القعيطي لأول عهده على السلطنة وأرغمت السلطان علي بن منصور الكثيري على توقيع وثيقة الاستشارة المشئومة التي حزمت أمور حضرموت كلها، ووضعتها في يد الإنجليز، وهذه المعاهدة - معاهدة الاستشارة - هي المسئولة عن كل ما حل بحضرموت، وعن كل ما حل بالجنوب من النكبات والويلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما ذم الأستاذ لقبائل حضرموت وتهوينه وتوهينه لأمرها فإنه هوس وسخف وتطاول لا داعي له، وما كان أغنى الأستاذ عنه، وما استشهد به من كلام الأحمدي استشهاد في غير محله، وهو استشهاد ضال ومضل، فإن ما قاله الأحمدي لا يعني به قبائل حضرموت لا كلها ولا جلها وإنما عنى به أفراداً ربيو على بيع الفرود ممن ولدوا في المهجر في الهند أو في جاوا ثم انغمسوا في الترف بعيدين كل البعد عما كان عليه آباؤهم من الفروسية القتالية والإباء والشمم وعلو الهمم، فما قصد الأحمدي غير أولئك النفر من باعة الفرود،

والأبيات مقصورة عليهم لا تتعداهم إلى عامة قبائل حضرموت التي دهاها ما لا قبل لها به من عنت بريطانيا وجبروتها القوي الغوي، فما بارزتها بريطانيا مبارزة متكافئة ولكنها جاءت ترميهم من أقطار السماوات والأرض فلم يستطيعوا المقاومة، وليس في إمكانهم أن يطمعوا في المقاومة، ولكن المعارض رحمه الله يريد أن يذم قبائل حضرموت ويمجد التدخل الإنجليزي لحاجة في نفس يعقوب.

وذكر الأحمدي في قصيدته رجالاً من الحضارمة الذين ظهروا في أجواء حركة التدخل أو على مسرحها معارضين وموافقين، وذكر بينهم السلطان صالح بن غالب القعيطي فقال مخاطباً المعارض : (عاد الأمل في الله يا شاعر وصالح في الوجود) يعني السلطان صالح، والسلطان صالح هو الذي وقع على معاهدة الاستشارة المشئومة التي جعلت كل شيء خاضعاً للمستشار، وهيهات هيهات أن ينقذ الناس من ورطهم وإن كان مكرهاً، ولو كان على شيء من الشجاعة لأمكنه أن يدفع عن نفسه وعن شعبه كل أو جل ما أصابه من

كوارث التدخل الإنجليزي، ولكن الجبن لا يُحفظ به كيان، ولا يعلو به شأن، وقد حاول الأحمدي إذ جعله محل الرجاء أن يثير فيه النخوة والحمية، ولكنه لم يجد العون المطلوب.

وذكر الأحمدي الأمير علي بن صالح القعيطي بأن له فضلاً يرجى نفعه، وذكر بعده السلطان علي بن منصور الكثيري سلطان آل كثير وهو الذي وقع مع السلطان القعيطي على معاهدة الاستشارة.

وقال الأحمدي في علي بن صالح وعلي بن منصور:

أيضاً ولا تنسى علي وبفضله العالم شهود

عاد الأمل في الله ياشاعر وصالح في الوجود

خو جعفر المعروف بالحكمة يفككها عقود

هو يا علي منصور في المجرا وفي المعنى سدود

والعليان لا يستطيعان عمل شيء، أما القعيطي فإنه تابع للسلطان القعيطي الذي وقع على معاهدة الاستشارة، وأما الكثيري فإنه نفسه الذي وقع المعاهدة، ولا ريب أنهما وقّعاها مكرهين.

وذكر الأحمدي حامد المحضار فقال:

وانشد على المحضار حامد قل له المجلس يعود
بيني وبينه عهد والاجواد توفي العهود
عسى بها تغفر ذنوبه لي اتكتبت في الرصود
وإن بايعاشينا وله شيء مصلحة مانا حسود

هذه الأبيات يلوح فيها أن الشيخ الأحمدي كان يتهم المحضار بمساعدة إنجرامس على الرد عليه، بينما كان المحضار بعيداً كل البعد من ذلك، ويكاد يكون من المحال أن يتجاوب مع إنجرامس وأذنابه.

كيف وهو العدو الأول لهم، وقد اعترف إنجرامس نفسه فيما كتبه وطبعه عن حضرموت بأنه يعتبر حامد المحضار عدوه الأول الذي استدور المعركة معه، وقد دارت المعركة وقضى إنجرامس على المحضار فأبعده من منصبه في الحكومة القعيطية وزحزحه من جانب السلطان صالح.

وأبيات الأحمدي عن المحضار تشير إلى هذا بل تنص عليه وأمعن في قوله عن المحضار:

وانشد على المحضار حامد قل له المجلس يعود

بيني وبينه عهـد والاجـواد توفي العهــود

عسى بها تغفـر ذنوبه لي اتكتبت في الرصود

وإن بايعاشـينا وله شيء مصلحـة مانا حسود

فالأحمدي يعرف أن المحضار مذنب بالنسبة إلى السياسة الإنجليزية التي يمثلها إنجرامس، وذنب المحضار هو معارضة التدخل في الشئون الحضرمية الداخلية، هذا هو الذنب الذي رصده إنجرامس، وبالرجوع إلى ما كتبه إنجرامس في هذا الموضوع يُعرف أن المحضار هو العدو الأول لسياسة إنجرامس وأذنابه، ولقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بإبعاد المحضار من منصبه، فأبعدته وهو أول من أبعد عن الحكومة القعيطية بعد التدخل الإنجليزي.

وجاء إنجرامس بعد إبعاد حامد المحضار بالسلطان علي بن صلاح ليحل محل المحضار، ثم ساءت الأحوال بين إنجرامس وعلي بن صلاح، فأغرى إنجرامس السلطان صالح بعلي بن صلاح فطرده من المكلا، ثم أمر بالاستيلاء على كل أو بعض أمواله، ثم أمر بتحديد إقامته بالشحر، ثم أرسله

إلى عدن في حال تشبه النفي، فمرض بعدن وطلب أن يعود إلى أهله ليموت بينهم فتم له ما أراد، رحمة الله عليه وبارك في أبنائه.

ومن المفارقات أن تعيين السلطان صالح للأمير علي نائباً عنه في المكلا كان بوحي من إنجرامس، وأن إبعاده من المكلا ثم من حضرموت كان بوحي من إنجرامس، ولقد كان خط الأمير علي بن صلاح في عهد السلطان عمر ووزيره الأمير سالم أحمد القعيطي أفضل منه في عهد السلطان صالح ومستشاره المستر إنجرامس، ذلك أن السلطان عمر أبعده عن وظيفته في عمالة شبام، ولم يصادر شيئاً من أمواله، ولم يحدد إقامته، ولم ينفه كما فعل السلطان صالح بوحي من إنجرامس، واكتفى بإبعاده من الوظيفة، فرحم الله الأمير علي بن صلاح.

وبعد فإنا نتقدم بسؤالنا الآتي إلى أصحاب الرأي في حضرموت بل في الجنوب كله، وهو هل تحقق ما تنبأ به الشيخ صلاح قبل أربعين عاماً من أن التدخل الإنجليزي كان نهاية الماضي بما له وعليه؟ أوسيكون المقدمة والقاعدة لما سيعاني الجنوب من العنت والإرهاق والتهيؤ للتدهور والمسخ

للأوضاع الأولى، والتهيؤ والإعداد لحكم أجنبي عات يدعمه الدهاء والظلم البريطاني؟ وهو ما عناه الشيخ الأحمدي ذو النظر البعيد والتقدير العتيد إذ قال:

هبت على لحقاف نفله باتيبس كل عود
والبخس عالتجار والشيبان لي ظلوا قعود
وأما الشريعة يا رفيقي بتوارى في اللحود
والشاب بايفلت وبايفلتن حلوات الخدود
وبايقع تقبيل للغره ولعماس النهود
هذا لحدث لكبر وعند البادري فسخ العقود
قده أحسن المسراح والمثوى يقع بارض الزيود
وإلا إلى مكة ونترعوي لفيصل ابن سعود
ابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسود
وجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجود

ولا ريب أن أهل الرأي سيقولون: نعم قد تحقق ما تنبأ به الأحمدي، ووقع الاستعمار، وفر من براثنه من استطاع الفرار إلى ظل الإمام العادل.

فرحم الله الشيخ صلاح الأحمدي المصيب، ورحم الله

الأستاذ المعارض، ورحم الله السيد الكاف في اجتهادهما غير المصيب، والموعد القيامة في مستقر الرحمة.

وبهذا انتهى تعليقنا على القصائد التاريخية الثلاث التي سجلن حقائق تاريخية ذات أبعاد خطيرة في تغيير مجرى التاريخ السياسي والاجتماعي في حضرموت بل في الجنوب كله.

ولقد تبارى بعد ظهور تلك القصائد كثير من الشعراء الحضارم، ونظموا في الموضوع قصائد طنانة، فيها كثير من اللمحات السياسية البارعة، والفضل على كل حال للمتقدم، وإذا ما سنحت لنا فرصة فإننا سنكتب عنها وسنلحقها بالقصائد الثلاث مع تعليق عليها وتنويه بما فيها من الحقائق لتدلي بدلوها ويسمع الناس صوتها عبر التاريخ، وهي لا تخلو من فوائد وعوائد قيمة.

وبعد، فإن تعليقنا على ما أملته تلك القصائد الثلاث عن أثر التدخل الإنجليزي المباشر في شئون حضرموت، وحديثنا عن أولئك النفر الذين حملتهم الظروف راضين أو مكرهين على الاتصال بتلك الأحداث لا يعني إغفالنا لمكانتهم

وفضلهم، فلا ننسى فضل السادة آل الكاف بما ساهموا به لخدمة بلادهم تريم الغنا، وحسبهم ما شهد به الإمام الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين حيث يقول:

بني الكاف من علياء آل محمد
عليكم من الباري تحياته تترى
كفيتم وواسيتم أناسي مسَّهم
أذى الدهر فأرجيتم الأجر والشكر
وما أحسن الإحسان من أي مصدر
ويزداد حسناً أن يكن من بني الزهرا

ولا ننسى مكانة السلطان صالح بن غالب في علمه وصلاحه وحبه لشعبه وحرصه على النهوض به، كما لا ننسى عبقرية السلطان علي بن صلاح وبُعد نظره وطموحه وقوة شخصيته، ونراه من أكبر رجالات حضرموت، كما لا نغفل مكان السلطان علي بن منصور في كفاحه المتواصل لخير السلطنة الكثيرية واستتباب أمنها، وعمله الدائب للسهر على مصالح المواطنين في المنطقة الكثيرية.

ونشيد وبإعجاب بحيثية الشيخ صلاح الأحمدي في

شعره الحكيم المثير الخالد .

ونسأل الله أن يسبغ فضله ورحمته على الجميع ، وأن يلحقنا وإياهم بالأبرار ، ونسأل الله للأمة الحضرمية العزة والكرامة .



الخاتمة

الخاتمـــة

عندما تتحد كلمة يافع :

حاول أئمة اليمن فيما مضى تجزئة الشعب اليافعي إلى أجزاء ليسهل ضمها إلى اليمن بيسر وسهولة ، فتارة يطلق على هذا الشعب الموحد يافع السفال ، ويافع بني قاسد ، وتارة يافع بني مالك ، وبني قاسد ، وجاء الاستعمار وحاول تجزئة الشعب اليافعي إلى ثلاثة أجزاء ، يافع العليا ، ويافع السفلى ، والقسم الأخير إلى قسمين : يافع الساحل ويافع الجبل .

ونجحت هذه السياسة بعض الشيء ، فقد تقلص نفوذ يافع وأبعدوا من كثير من حدوده ، فقد خسر بني أرض ومرة وجبن ، كما خسر ميناء يافع الرئيسي الفصلة الواقعة بين شقرة وزنجبار وبالقرب من مصب وادي حسان ، وهذا يعني أنه انصاع لهذه الأسماء واستعملها بدون تفكير لمعناها الرامي إلى تمزيق وحدة الشعب اليافعي ، فكانت الخسارة باهظة ، خسر الصالح والقطيبي والصهيبي واللحجي ، وقد كانت

هذه كلها وحدة واحدة اسمها يافع بني مالك، ولكن بقية من يافع وهم سكان الهضبة الشمالية وسكان الوديان وما بقي لهم من أرض أدركت فداحة وخسارة ومدى خطورة هذه التجزئة.

ولم يقصِّر المؤرخون، فقد طمسوا أو تجاهلوا ما للشعب اليافعي من إسهامات في تاريخ اليمن في الماضي القديم وفي الإسلام، ومالهم من أدوار بطولية في الجهاد وفي المجالات العلمية والأدبية والسياسية، ولكن تواريخ اليمن وحضرموت لم تعطنا أي صورة مشرقة عن يافع، وفي تواريخ حضرموت خاصة نجد صور قاتمة إذا ذكرت قبيلة يافع.

أما في اليمن فالقليل ذكرت أسماؤهم، أما الكثير فقد أطلقوا عليهم اسم اليمن فقط، بينما نقرأ لشخصيات يمنية ذكروها ونسبوها إلى قبيلتها كالخولاني والأكوع والآنسي والصنعاني وغيرهم، كذلك قبائل الجنوب وحضرموت لم يذكرها المؤرخون كالصبيحة والمراقشة والنخعين والعواذل والعوالق ونهد في حضرموت والعمودي والتميمي

وغيرهم، لولا أن مؤرخين أحراراً قدموا لنا بصيصاً من أسماء كنا نجهلها بل وتجاهلها التاريخ المحلي، من هذا المنطلق حاول المحاولون طمس الأسماء سواء كانت لشخصيات أم لإقليم.

والذي دعاني لكتابة هذه السطور أن أحد الأشخاص سألني عن العمرة وأنه أداها وأحرم من الميقات، والآن إذا أتى الحج يحرم من جدة أو يعود إلى الميقات؟ فقلت: يحرم من جدة، ثم سألته: من أين أنت؟ قال: من لبنة، فقلت: لبنة في حضرموت، قال: الوحدة الآن لا تعرف المدن والقرى إلا أنها يمنية، وأن السكان يمنيين، فتذكرت محاولات الأئمة والإنجليز تجزئة الأقاليم وسكانها حتى ينسى الإنسان انتماءه إلى مسقط رأسه، وينسى أيضاً قبيلته كصاحبنا هذا.

أما الوحدة فهي أمل الجميع لكن بدون طمس الأقاليم ولا القبائل، فالوحدة معناها وحدة الجيش والاقتصاد والسياسة والحكم والثقافة، مع بقاء الانتماء إلى القبيلة والإقليم، فقد كان التبابعة عندما وحدوا الأقاليم يقولون:

ملك يمنات، وريدان، وما وراء الجبال، وحضرموت، فبقي الانتماء الحضرمي إلى حضرموت، واليمني إلى يمنه، واليافعي والفضلي والعواذل إلى أقاليمهم وقبائلهم.

وقد قرأت فيما قرأت - إن لم تخني الذاكرة - كتاباً لحمزة لقمان ذكر فيه يافع بني مالك وبني قاسد، وهذه قد تكون جاءت نقلاً عن غيره، ولكنها صدرت من مفكر ذكي لعلها تأخذ طريقها للانتشار، ونبهني إلى كثرة المحاولات لتمزيق وحدة يافع العليا ويافع السفلى ويافع الساحل ويافع الجبل، والآن يافع بني مالك ويافع قاسد، ألا ترى أن هذه المحاولات قد نجحت بعض الشيء عند غفلة اليافعيين لذلك؟

وللإيضاح فقد كانت وحدة يافع بني مالك تحت قيادة واحدة وتحت سلطان واحد، وليس أدل على ذلك من مشيخة النقيب وسلطنة ابن عفيف، وكان القائد العام يسمى قاسد بلغة حمير، والقيادة العليا بيد السلطان وبيده إعلان الحرب والسلم، وكانت قبيلة يافع كلها قوة واحدة متماسكة

متلاحمة تحت قيادة واحدة، ثم اشترك في القيادة العليا سلطانين ولكن الوحدة باقية، وحرفت كلمة قاسد إلى بني قاصد، ونجحوا في التقسيم فيقال: يافع العليا ويافع بني قاصد، ولكن لم ينجحوا في الهدف فبقيت يافع، عندما يمس شرف اليافعي في أي جزء هبت إليه قبائل يافع تؤيد وتناصر وتشارك إلا ما ندر، والنادر لا حكم له، وإن كان هذا النادر قد يقلص النفوذ اليافعي كما ذكرت.

إننا لهذا نلفت انتباه الشباب اليافعي الواعي ألا يسمحوا لمثل هذه الكلمات التي تشبه القنابل الموقوتة، فإذا انفجرت دمرت ما حولها، ومعنى هذا كلما حدث مثل هذا تقلص نفوذ يافع من ساحته التي درج عليها أباؤه وأجداده.

والآن وقد جاءت تقسيمات المقاطعات إلى محافظات، وتجد قطعة من الأرض قد ضُمت إلى قطعة أخرى من أرض أخرى، فمثلاً ضُمت العبر إلى المحافظة الرابعة، ففي ذلك خطورة على وضع السكان الذين ينتمون إلى العبر مثلاً، والأمثلة كثيرة لها مغزى رهيب لا يظهر أثره إلا في المستقبل البعيد.

زيادة إيضاح :

لا ننكر اتساع رقعة اليمن، فكلمة اليمن تطلق على مساحة كبيرة من الجزيرة العربية تبدأ شمالاً من الطائف وشرقاً إلى البحرين، ولكن بدون طمس للأقاليم والشخصيات، فنجران لا زال اسمها نجران، وكذا جيزان وعمان وحضرموت وغير ذلك.

كما لا ننكر كلمة شام، وتطلق على الأردن وسوريا وفلسطين ولبنان، ولكن بدون طمس، فالأردني ينتمي إلى الأردن، والسوري إلى سوريا، والفلسطيني إلى فلسطين، واللبناني إلى لبنان(١).

فمن هنا فالوحدة لا تغير الأسماء ولا الأقاليم، ونحن نلفت نظر الكتاب والمؤرخين إلى ذلك لئلا يقعوا في خطأ جسيم، وكفى ما خلفته الجبهة القومية من مشاكل في سياستها الملتوية التي غيرت الأسماء والمقاطعات، ولا يعلم إلا الله متى تحل هذه المشاكل، فمثلاً المكتبة السلطانية أسسها السلطان عمر ثم السلطان صالح وجلب مكتبته من حيدر أباد

---

(١) وزاد في المنطقة الآن عنصر غريب يسمى إسرائيل .

إليها، فأمرت الجبهة القومية بتغيير اسمها إلى مكتبة الشعب، ثم الآن إلى مكتبة بامطرف، وكذلك قصر المعين سموه قصر ١٤ أكتوبر، كما غيرت أسماء الحارات فهي اليوم أشبه بالضياع، فقدت الحارات مكانتها، وأصبح كل فرد لا يهتم إلا بنفسه، وهذا عبث بتغيير المقاطعات والشخصيات والحارات وفوق ذلك المصادرات والتأميمات.

ومن المؤلم والمؤسف نسيان التاريخ الهجري، فلا يكاد يعرف اليوم لا في حضرموت ولا في الجنوب ولا في اليمن الشمالي حتى في المؤلفات تقرأ تاريخ ٦/ ٦/ ٧٢م مثلاً، وفي الرسائل المتبادلة يكتب التاريخ الإفرنجي، وهكذا بين وقت وآخر يفقد اليمن شيئاً مهماً، ولربما ينسى نفسه ولا يعرف إلى من ينتسب.

في رحلتي الأخيرة إلى يافع اجتمع في منزلنا مجموعة من الثوار فسألت أحدهم: ممن الأخ؟ فقال: جمهوري، وكانت الظروف قاتمة والإرهاب على أشده، فقلت له بلطف: أسأل عن قبيلتك؟ فقال وبسرعة: هذه عنصرية ونريد إزالتها، فلا قبائل ولا فخائذ، الجميع جبهة قومية،

وهنا لزمت الصمت خوفاً أن يحدث ما لا يُحمد عقباه وفي منزلي.

ولا أنسى صدور أمر يقول: لا يذكر الموظف قبيلته، فيكفي ذكر اسمه واسم أبيه وجده فقط، لا يقول يزيدي ولا ناخبي ولا يافعي.

وبعد هذا أيها الأخ الكريم علمت الآن ما يراد بتغيير الأسماء والأقاليم، فالجواب منك وإليك.

وبعد:

بعد أن سجلت هذه المعلومات أود أن أوجه نداء إلى رجال يافع وشبابهم أن يهتموا بتاريخهم وأن يشجعوا الباحثين والمنقبين عن تاريخهم.

كما أوجه ندائي لرجال المال والأعمال أن تُكوِّن لجنة من الأثرياء ويجعلوا صندوقاً يشترك فيه اليافعيون لمساعدة المعوزين وتشجيع الدارسين وإرسال أولادهم إلى الخارج لإتمام دراستهم ليعود منهم المتخصصون في سائر علوم العصر حتى يفرضوا وجودهم في كل حقل من حقول الحياة، ليكون ليافع مشاركة في الأوساط العربية والإسلامية

فكرياً وأدبياً وعلمياً وصناعياً ودينياً، وتخلد أسماؤهم في سجل رجال التاريخ ويعود لهم المجد القديم والذكر الحميد.

لقد ضمني مجلس مع العلامة الشيخ علي الطنطاوي ومجلس آخر لم يعرف عن يافع لا قليل ولا كثير إلا أن الأفاضل من علماء سوريا عرفوه بي، وذكروا له كتابي الآنف الذكر، لكن في المجلس الثاني كان الحديث بيني وبينه مشجعاً ومسراً بعد أن اطلع على مالهذه القبيلة من مجد، وقد عرف بعضاً منهم لكن باسم اليمني لا اليافعي.

وإني لأخجل عندما يضمني مجلس من مجالس العلماء السوريين أو المصريين، فإذا عرفني أحدهم للحاضرين فيقول بعضهم: لأول مرة أسمع كلمة يافع؛ لهذا فقد جائتني الطلبات وبكثرة يطلبون كتابي رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، وأباشرهم بالطلب مجاناً لا لشيء ولكن للتعريف بهذه القبيلة، أضف إلى ذلك كثرة الزائرين لي، جزاهم الله عني خيراً.

أقول هذا لأنبه رجال المال، ألا يعتقدوا أن المال يخلد الأسماء، لا، إن المال ظل زائل يذهب ويذهب صاحبه معه

كأن لم يكن شيئاً، وكم شاهدنا من أغنياء ترفعوا وتجبروا وسخروا المال للمباهاة والتفاخر والمظاهر فذهب المال وذهبوا معه يرحمهم الشانئ ويعتبر بهم من عرفهم أبان غناهم ونهاية أمرهم.

ولا أريد أن أطيل ولكنها نفثة مصدور أقولها صريحة.

وأقول: الحمد لله، فقد كثر أصدقائي من علماء سوريا الأفاضل، ويعود الفضل لله، ثم للشاب عبدالله صالح صنعان باسودان، وبعض الطلبة الذين درسوا عندي، فجزى الله الجميع عني أفضل الجزاء.

وهنا أمسك القلم داعياً الله جل شأنه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن ينفع به من شرح الله صدره، والله حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تحريراً بجده
عبدالله بن أحمد الناخبي
غفر الله له ولوالديه
آمين



الملاحق

الملاحق

أهل بن ناجي :

آل بن ناجي قبيلة معروفة في وادي ذي ناخب، وهم فروع :

١ـ آل صالح علي .	٢ـ آل علي .
٣ـ آل ضيف .	٤ـ آل سيف .
٥ـ آل محسن .	٦ـ آل المطيري .
٧ـ آل شائف .	٨ـ آل سالم عمر المليكي .

مساكنهم:

١ـ حُمْحُمَة .	٢ـ يضم .
٣ـ قامر .	٤ـ الحوطة .
٥ـ مضيضة .	٦ـ قمزان .
٧ـ محوال .	٨ـ دورعدية .
٩ـ دور الجحيلة .	١٠ـ الدقة وشمسان .

وقديماً كانت مساكنهم على قمم الجبال، وينسبون إلى ناجي بن عمر بن أحمد.

أصل آل بن ناجي:

يبدو من تصفح صفة الجزيرة أن سكان وادي ذي ناخب أصلهم من بني جبر، وبنو جبر تفرعوا إلى عدة فروع منهم:

١ـ آل مرشد.

٢ـ آل بن ناجي.

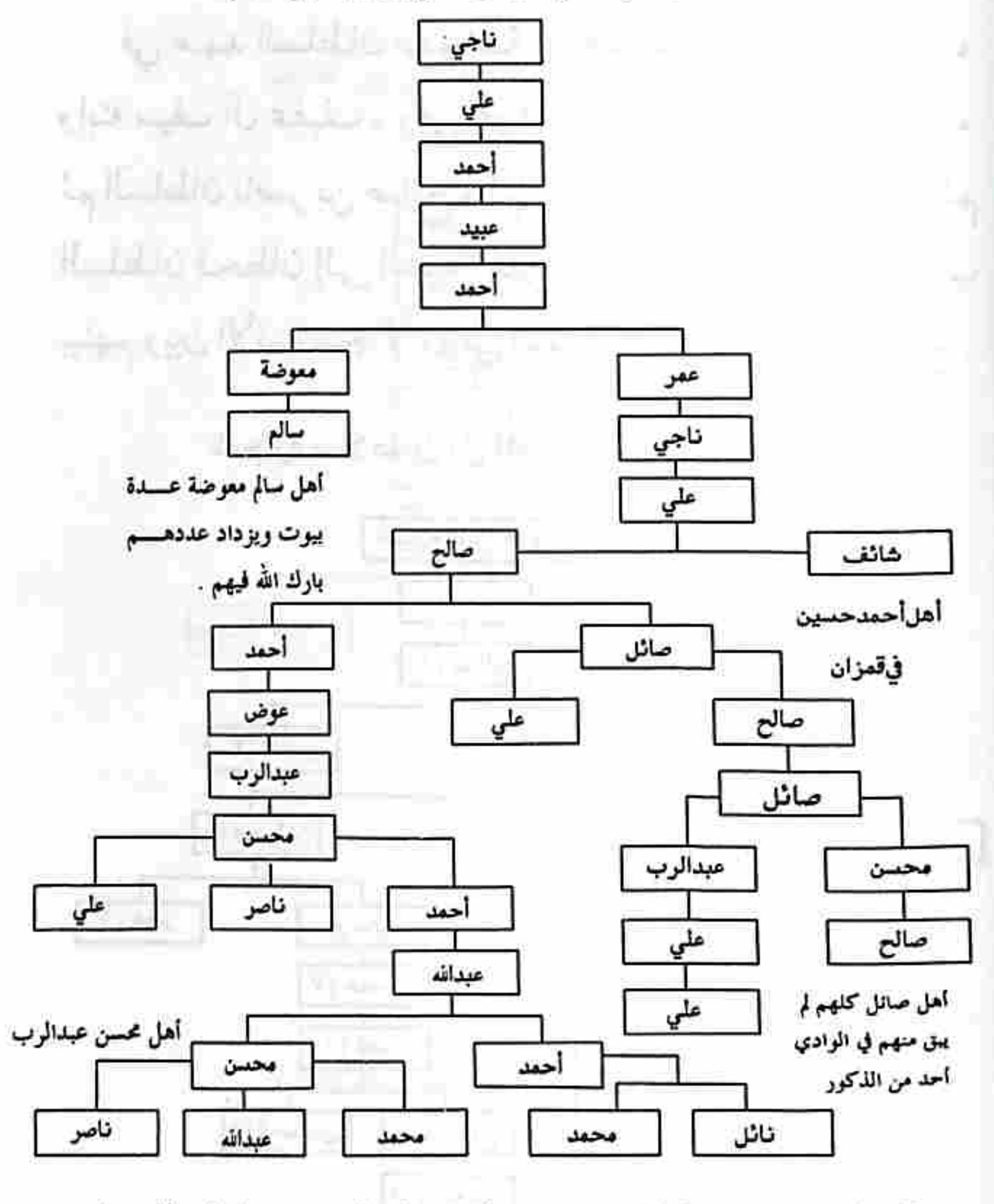
٣ـ آل أمشق.

٤ـ آل حسان.

فأهل مرشد في أعلى الوادي، وأهل بن ناجي على مسافة قريباً منهم، وأهل أمشق أيضاً على مسافة قريباً منهم، في نفس الوادي إلا أن حدودهم تشمل معظم الوادي، وآل حسان في آخر الوادي إلى مصبه وبالتحديد من باب الأفلاك إلى مصب الوادي في البحر، ومعنى هذا أن سكان وادي ذي ناخب معظمهم من بني جبر.

وفيما يلي شجرة نسب المؤلف مع ذكر من تفرع منهم.

نسب المؤلف ((أهل بن ناجي)) ومن تفرع منهم

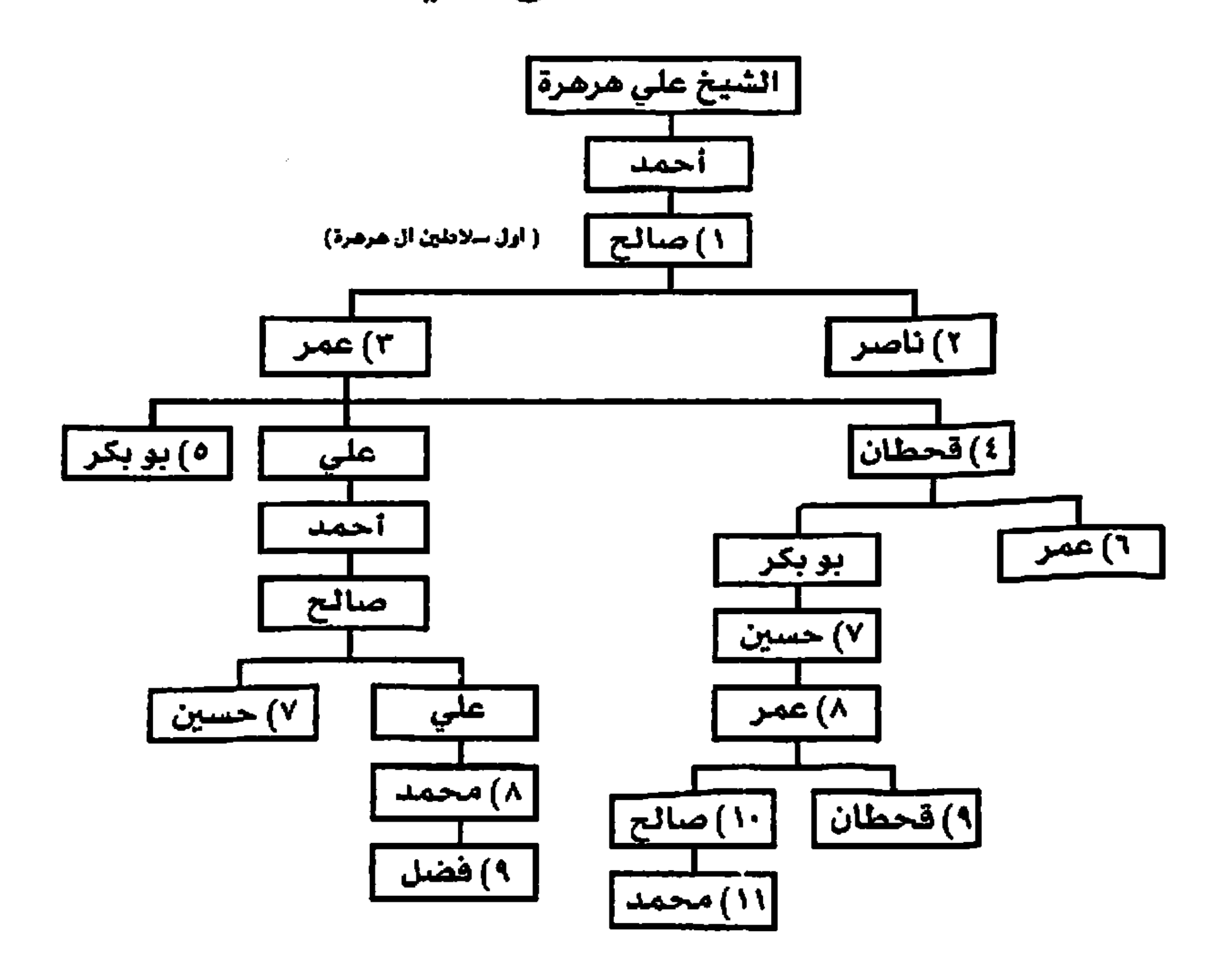


هذه الشجرة صحيحة إلى عبيد حسب الوثائق التي بأيدينا وما علا فمن أفواه الشيوخ.

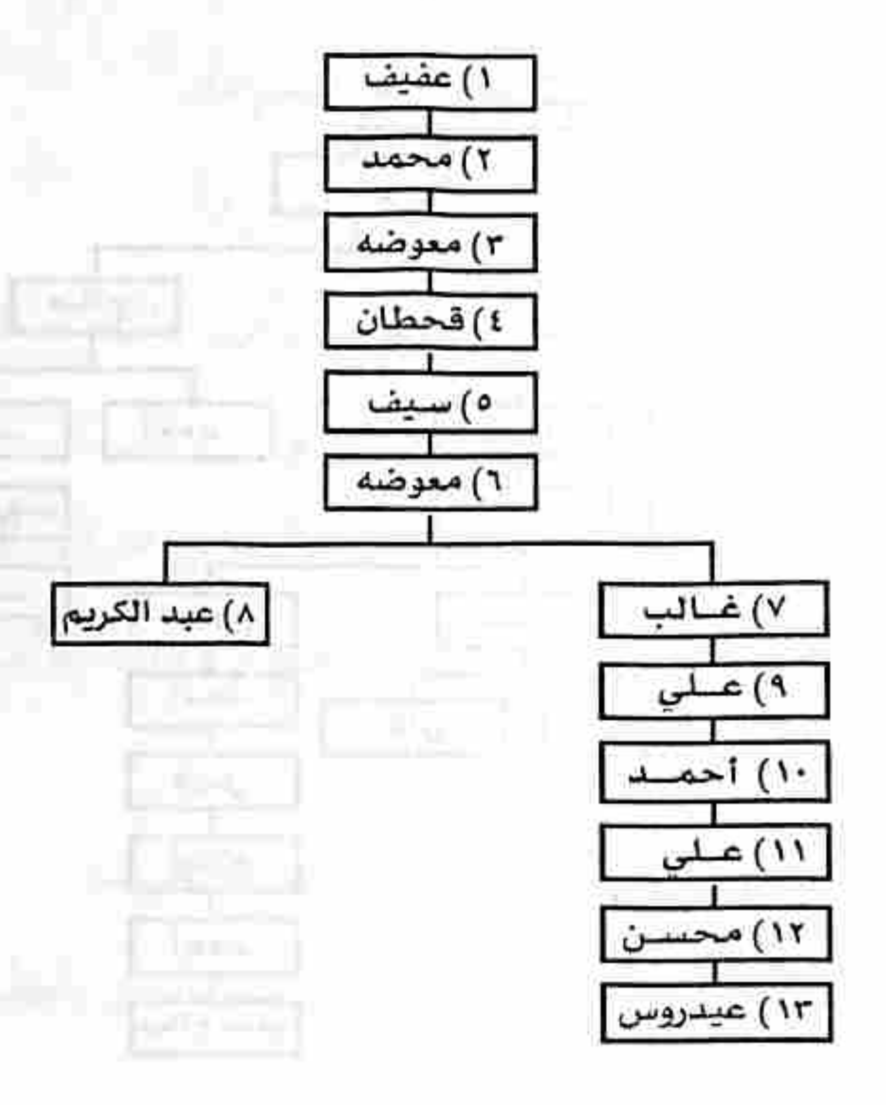
فـائـدة :

في عـهـد السلطان معـوضـة بن عـفـيف ، وابنه قـحطان ، وابنه سيف آل عـفيف ، وفي عهـد السلطان صالح بن أحمد ، ثم السلطان ناصر بن صالح ، ثم السلطان عمر بن صالح ، ثم السلطان قـحطان إلى الشيخ علي هرهرة ، وكـانـت الحـروب بينهـم وبين الأئمة سجالاً ، وفي النهاية كتب الله النصر ليافع .

شجرة سلاطين آل الشيخ علي هرهرة

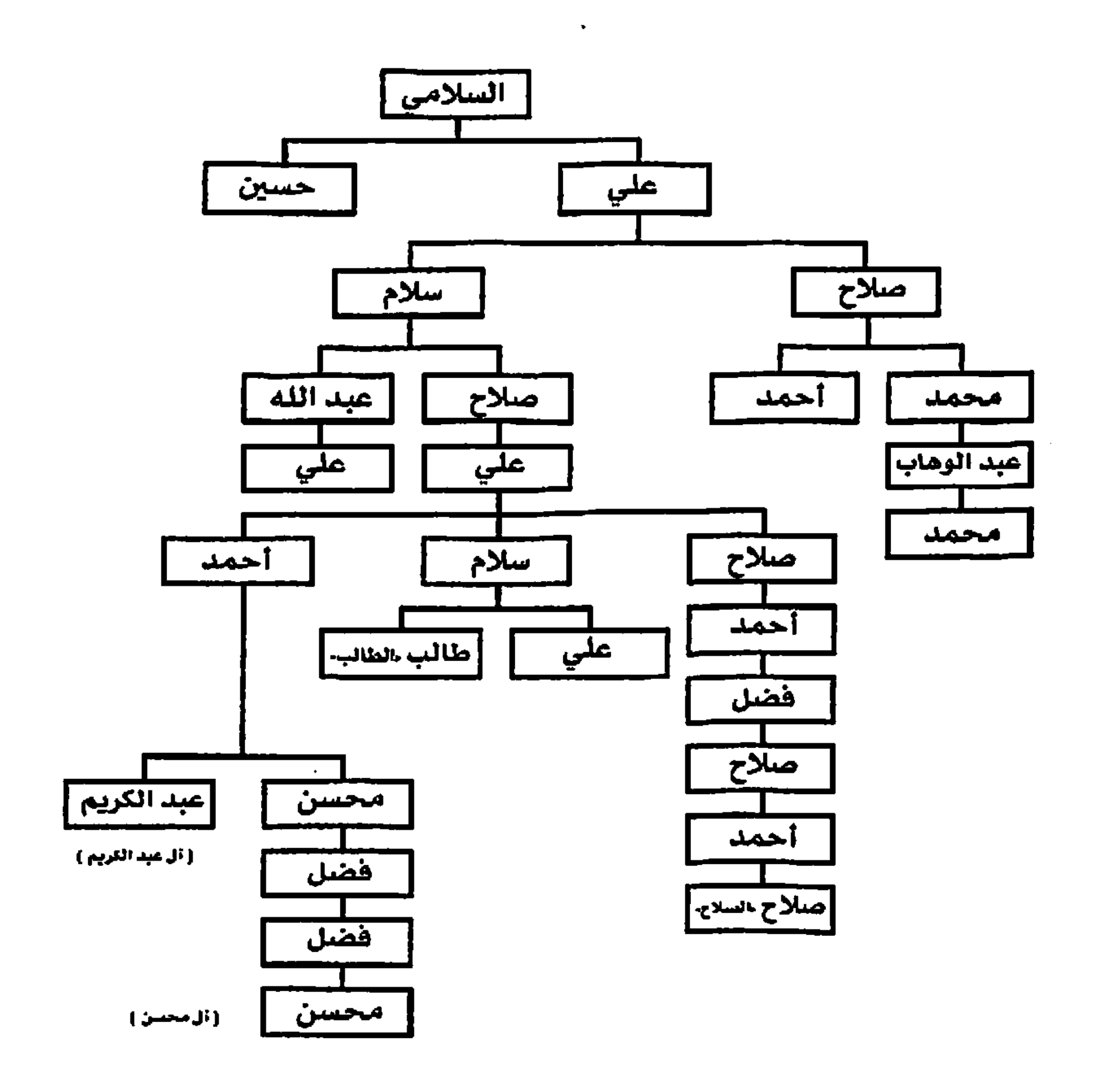


شجرة السلاطين آل بن عفيف



(من هدية الزمن للأمير أحمد فضل)

شجرة السلامي العبدلي اليافعي



المراجـع

١ - الأنساب ، للإمام أبي سعد عبدالكريم التميمي .

٢ - تاريخ الثغر ، للشيخ عبدالله بامخرمة .

٣ - قلادة النحر ، للشيخ عبدالله بامخرمة .

٤ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، الإمام تقي الدين محمد أحمد الحسني الفاسي المكي .

٥ - تاريخ حضرموت ، للسلطان غالب بن عوض القعيطي .

٦ - هدية الزمن في أخبار ملوك الحج وعدن ، للأمير أحمد فضل بن علي محسن العبدلي .

٧ - الجامع ، للأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف .

٨- الشهداء السبعة ، للأستاذ محمد عبد القادر بامطرف .

٩- القبائل اليمنية في مصر .

١٠- رحلة إلى يافع أو يافع في أدوارالتاريخ ، للمؤلف .

١١- كشف الظنون ، الحاجي خليفة .

١٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي.

١٣- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني .

١٤- النور السافر في أخبار القرن العاشر ، للعيدروس .

١٥- طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي.

١٦- إنباء الغمر بأبناء العمر ، لابن حجر العسقلاني.

١٧- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري.

الفهـرس

القسم الثاني : شخصيات يافعية

القسم الثالث : أشعار يافعية

الخاتمة

مؤلف هذا الكتاب

* عبدالله بن أحمد بن محسن بن عبدالرب بن عوض بن أحمد بن صالح بن علي بن ناجي بن عمر الناخبي.

* من مواليد يافع، بلدة حمحمة عام ١٣٢٣هـ .

* رحل مع والده إلى حضرموت وسنه ٧ سنوات وأخذ جانباً من العلوم الدينية والعربية في تبالة على شيخه العلامة سالم بن مبارك بن عبدالرحمن الكلالي.

* كان في نفس الوقت جندياً يقوم بدوره في واجبات الجندية.

* في عام ١٣٣٩هـ رحل إلى المكلا وبدأ حياته بها إماماً في مسجد يلقي دروساً دينية به، وقام بتعليم طائفة من الطلبة.

* أصبح مدرساً في مدرسة الفلاح، ثم المدرسة الوطنية، ثم المدرسة السلطانية، ثم مفتشاً عاماً في المعارف، ثم نائباً عن مدير المعارف، وعضواً في مجلس الدولة.

* اشترك في عدد من اللجان كالخيرية والمعارف والدينية وغيرها.

* تولى الخطابة بمسجد عمر واستمر حوالي ٣٥ عاماً، ثم أحيل إلى المعاش.

* وهو الآن يقوم بنفس العمل الذي بدأه إماماً بمسجد بابيضان بجدة يلقي دروساً دينية.

الكوكب اللامع

فيما أهمل من تاريخ

يافع